جامعـة محمد خيضر
كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الأنثروبولوجيا

مذكرة ماستر

رقم تسلسل المذكرة: .....

نظام استغلال أراضي العرش بالجزائر

دراسة إثنوغرافية بزريبة الوادي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأنثروبولوجيا
تخصص: أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية

تقديم الطالب: بسكري الصادق

تحت إشراف الأستاذ: د–شالة عبد الرحمن

لجنة التقييم:

درنوني سليم	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
شالة عبد الرحمان	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا
قاسمي شوقي	أستاذ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنـة الجامعيـة: 2024/2023م

محتويات المذكرة

مقدمة الدراسة..... ...أ

❖ الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي. 11

اولا: موضوع الدراسة وأهميته:..... ... 12

ثانيا: أهداف الدراسة:.....12

ثالثا: مجال الدراسة:..... 12

رابعا: إشكالية الدراسة:..... 14

خامسا: مفاهيم الدراسة (الكلمات المفتاحية):.....16

سادسا: الدراسات السابقة لموضوع الدراسة:.....19

سابعا: صعوبات الدراسة.....20

ثامنا: أدوات جمع المعطيات ومنهج الدراسة.....21

❖ الفصل الثاني:التركيبية الاجتماعية لعروش عرب الزريبة.....24

تمهيد.....25

أولا: البناء العشائري.....26

ثانيا:القبيلة أو العرش كتنظيم اجتماعي 27

ثالثا:التركيبة الاجتماعية لعرش عرب الزريبة.....29

رابعا:تاريخ القبائل في المنطقة بعيون الرحالة والمؤرخين..... 31

خامسا:سكان المنطقة عبر التاريخ 36

سادسا: مؤسس زريبة الوادي..... 37

سابعا:الأرض والعرش..... 39

ثامنا: العرش والأرض كنظام إقصائي.....41

خلاصة الفصل 42

❖ الفصل الثالث: قيمة أراضي العرش وتمثلاتها عند عرب الزريبة..... 42

تمهيد..... 44

أولا :الأرض كأصل دو قيمة.....45

ثانيا: تعريف أراضي العرش 47

ثالثا: أراضي العرش وأصل التسمية 48

رابعا: أراضي العرش من الناحية القانونية.....49

خامسا: تحديد أراضي العرش بزريبة الواد..... 47
سادسا:رمزية أراضي العرش..... 48
سابعا:أراضي العرش والنوع الإجتماعي..... 51
ثامنا:وجهات نظر تاريخية واتجاهات مستقبلية حول الأرض 52
خلاصة الفصل 54
❖ الفصل الرابع: استغلال أرض العرش عند عرب الزريبة..... 56
تمهيد..... 57
أولا: جغرافية المنطقة..... 58
ثانيا:نظام الملكية العامة لأراضي العرش..... 59
ثالثا:نظام تقسيم أراضي العرش بين عروش المنطقة والتداول عليها 59
رابعا:نظام الفرسان..... 61
خامسا-:نظام السقي والحرث..... 62
سادسا: النسق الديني..... 63
سابعا :منتجات الأرض..... 65
ثامنا: مآل أراضي العرش..... 66
خلاصة الفصل..... 68
خاتمة..... 69
نتائج الدراسة..... 71
قائمة المصادر والمراجع:..... 75
الملاحق:..... 79
(1الملحق الأول: (دليل المقابلة)..... 80
(2الملحق الثاني: (صور ميدانية)..... 84

الإهداء

نحمد الله- عز وجل- الذي بث فينا الإرادة والعزيمة، والذي وفقنا لإتمام هذه المذكرة فالحمد لله حمدا كثيرا، إلى من لا توفيهم الكلمات والحروف حقهم في البر والإحسان إلى من رضا الله في رضاهم وما توفيقي وسر نجاحي إلا بدعائهم، فلن يفي أي كلام ولن تنصف الكلمات قدرهم، إلى أمي الغالية ووالدي الكريم- رحمه الله- اهدي لهم هذا العمل وإلى أصدقائي الأعزاء خارج أسوار الجامعة، إلى "*محمد بوحيتم*" الذي أشار علي باجتياز امتحان البكالوريا إلى "*علاء الدين فلياشي*" الذي رافقني من بداية التسجيل في الجامعة إلى غاية كتابة هذه السطور.

إلى زملائي داخل أسوار الجامعة من أجل تلك اللحظات الجميلة والدعم المستمر الذي قدمتموه لي أهدي لكم هذا العمل واهديه كذلك إلى أساتذتي الكرام لما قدموه لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في اكتسابنا معارف كثيرة وأفكار جمة، غيرت منا ومن أسلوب حياتنا نلمسها في طريقة تفكيرنا وسلوكياتنا التي تغيرت تغيرا جذريا فكل عمل قمت به أو سأقوم به سيحمل بصماتكم جميعا وسأكون ممتنا لكم إلى الأبد.

شكر وتقدير

أساتذتي الأفاضل نباريس العطاء المضيء، الذين أضاؤوا طريقنا، وأخرجونا من براثن الجهل إلى نور العلم، يا من علّمتمونا كيف نتذوّق حلاوة المعرفة، ونبتعد عن مرارة الجهل وطرائق الجهال، يا من قوّمتم سلوكنا، وجعلتمونا نسمع ونرى ونسعى على الأرض لا كما يسعى كل الناس، لو أنشدنا لكم كلّ كلمات الشكر لما كفتكم، ولما وفّتكم حقّكم أيها الجبال الشامخة لقد تغنى بكم الشعراء، ومدحكم الحكماء والعلماء، فلولاكم لما نشأ فينا الطبيب ولا المهندس ولا الصانع، لولاكم ما قامت الحضارات وتطوّرت العلوم، فشكرًا وألف شكر لكم أساتذتي الكرام، شكرًا لعطائكم اللامتناهي، شكرًا لما قدمتموه لنا.

الملخص

الملخص:

هذهِ الدراسةِ تتناولُ أحدَ أنظمةِ استغلالِ الأراضي، وهوَ نظامٌ فريدٌ منْ نوعهِ لا يوجدُ في أيِ منطقةٍ أخرى منْ البلادِ حسبَ علميٍ، لذلكَ تهدفُ هذهِ الدراسةِ إلى فهمِ هذا النظامِ بشكلٍ معمقٍ، والتعرفُ على البنى والأسسِ التي قامَ عليها، وكيفَ تمَ تشكيلهُ، كما تسعى الدراسةُ إلى الكشفِ عنْ تأثيرِ البنى الاجتماعيةِ والثقافيةِ على هذا النظامِ، وكيفَ تفاعلتْ مكوناتهِ المختلفةَ كالجانبِ الديني والقرابي والاقتصاديَ والبيئيِ، في الوقتِ نفسهِ، تهدفَ الدراسةُ إلى التعريفِ بهذا النظامِ وتوثيقهِ، فهوَ نظامٌ مجهولٌ لكثيرٍ منْ الناسِ ولا يزالُ قائما حتى الآنَ على الرغمِ منْ بوادرِ زوالهِ .

كلمات مفتاحية: نظام، عرش،استغلال

Abstract:

This study addresses one of the systems of land use, which is unique and does not exist in any other region of the country as far as I know, so this study aims to understand this system in depth. and to learn about the structures and foundations on which it was built, and how it was formed the study also seeks to reveal the impact of social and cultural structures on this system, how did its various components, such as religious, kinship, economic and environmental, interact at the same time, The study aims to publicize and document this system, which is unknown to many people and still exists despite the signs of its demise.

Keywords: system, tribe, exploitation.

مقدمة الدراسة

مقدمة الدراسة

تخضعَ أنظمةَ استغلالِ الأراضي في المنطقةِ المغاربيةِ والجزائرِ خاصةٌ إلى تعدديةٍ واضحةٍ تقترنُ عادةً بتعددِ مظاهرِ ملكيةِ الأرضِ فتتحددُ أنماطُ استغلالٍ أنتجتْ مجموعةٌ منْ أشكالِ الإنتاجِ، وأفرزتْ هاتهِ الأخيرةِ بدورها مجموعةً منْ الأدوارِ الاجتماعيةِ، قامتْ باستغلالِ الأرضِ وفلاحتها للاستفادةِ منْ خيراتها فأفرزتْ أشكالاً تنظيميةً مغايرةً، فصيغُ استغلالِ الأرضِ متعددةً، والدوافعُ وراءَ تأسيسها عديدةً ومعقدةً منها عدمَ كفايةِ المساحةِ الصالحةِ للزراعةِ، والنقصُ الحاصلُ في وسائلِ الإنتاجِ، ونقصَ قوةِ العملِ هذا منْ جهةٍ ومنْ جهةٍ أخرى تأثيرَ النسقِ الثقافي بكلِ ما يحويهُ منْ مركباتٍ ثقافيةٍ، حيثُ ساعدتْ عليهِ بنيةُ الأسرةِ الممتدةِ والنسقِ الديني والارتباطِ العاطفي القويِ بالأرضِ ومنْ ثمَ تمَ خلقُ صورةٍ أوْ شكلٍ منْ أشكالِ استغلالِ الأرضِ نعتناهُ بالنظامِ، لما يحويهُ منْ مركباتٍ مكونةٍ لهُ حافظتْ إلى حدٍ بعيدٍ على الوحدةِ داخلَ المجموعةِ القبليةِ التي حافظتْ على الأرضِ.

تنبعَ أهميةَ البحثِ في المشكلةِ التي تتناولها الدراسةُ، فموضوعَ نظامِ استغلالِ أراضي العرشِ بالجزائرِ دراسةً اثنوغرافية بزريبةِ الوادي منْ الموضوعاتِ الهامةِ، لتناولهِ موضوعا خاصا بأنظمةِ ملكيةِ الأرضِ والفلاحةَ، وهيَ منْ موضوعاتِ التنميةِ بصفةٍ عامةٍ، فدراسةُ استغلالِ الأراضي الفلاحيةِ منْ زاويةِ أنثروبولوجيةَ تحاولُ تغطيةَ النقصِ الذي تعانيهُ الدراساتُ الأنثروبولوجيةُ، كذلكَ الدراسةَ جاءتْ لتوثقٍ لنظامٍ خاصٍ ومعمولَ بهِ حتى الآنَ معَ أنَ بوادرَ زوالهِ قدْ لاحتْ، وهيَ دعوةٌ للباحثينَ في نفسِ الوقتِ للاهتمامِ بمثلٍ هاتهِ المواضيعِ التي تستطيعُ وفقها، فهمُ ثقافةِ المجتمعِ وكيفيةِ تعاطيهِ معَ البيئةِ الاجتماعيةِ والطبيعيةِ التي يتفاعلُ معها وبها، وأيضا محاولةٌ منا للإسهامِ ولوْ بجزءٍ بسيطٍ لسدِ الفراغِ الموجودِ في المكتباتِ العربيةِ حول هاتهِ الأنظمةِ .

بحكمِ انتمائي القرابي للمنطقةِ وجدتْ الأمرَ يحركني ويجبرني أكثرَ منْ غيري للقيامِ بهدهِ الدراسةَ، فلقدْ لاحظتْ أنَ منطقةَ الدراسةِ تحتضنُ نظاما خاصا منْ أنظمةِ استغلالِ الأرضِ، فريد منْ نوعهِ في الجزائرِ على حدٍ علميٍ، وهذا ما دفعني بشدةٍ إلى البحثِ فيهِ، وفهمِ الآلياتِ التي يعتمدها في تركيبه، للوقوفِ على أبعادهِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ.

نظامُ استغلالِ أراضي العروشِ في الجزائرِ دراسةً اثنوغرافية بمنطقةِ زريبةِ الوادي، هوَ عنوانُ مذكرتنا والتي تدخلُ ضمنَ متطلباتِ نيلِ شهادةِ الماسترْ في الأنثروبولوجيا، حيثُ شملتْ مقدمةَ الدراسةِ وقمنا في الفصلِ الأولِ وهوَ الإطارُ النظريُ والمنهجيُ للدراسةِ بتوضيحِ موضوعِ الدراسةِ وأهميتهِ وأسبابِ اختيارنا للموضوعِ، وكذلكَ أهدافُ الدراسةِ ومجالها ثمَ تطرقنا إلى إشكاليةِ الدراسةِ والمفاهيمِ المتعلقةِ بها، وأشرنا إلى الدراساتِ السابقةِ وصعوبات

الدراسة التي واجهتنا، وأدواتُ جمعِ المعطياتِ ومنهجِ الدراسةِ، أما في الفصلِ الثاني الموسومِ بالتركيبةِ الاجتماعيةِ لعروشِ عربِ الزريبةِ، تحدثنا في البدايةِ عنْ البناءِ العشائريِ ثمَ قمنا بتوضيحِ موضوعِ القبيلةِ أوْ العرشِ كتنظيمٍ اجتماعيٍ، وفصلنا في التركيبةِ الاجتماعيةِ الحاليةِ لعرشِ عربِ الزريبةِ، وحاولنا فهمَ التركيبةِ في سياقها العامِ والكليِ بالحديثِ عنْ تاريخَ القبائلِ في المنطقةِ بعيونِ الرحالةِ والمؤرخينَ الذينَ تحدثوا عنْ سكانِ زريبةِ الوادي ومؤسسها حسنْ الكوفيِ، وأشرنا في آخرِ الفصلِ إلى علاقةِ الأرضِ بالعرشِ والنظام الإقصائي الذي تحتويه، الفصلِ الثالثِ احتوى على الأرضِ كأصلٍ ذي قيمةٍ وتمَ تعريفُ أراضي العرشِ واصلَ تسميتها ووضعيتها منْ الناحيةِ القانونيةِ، وتمَ تحديدُ أراضي العرشِ المقصودةِ بالدراسةِ، وتطرقنا كذلكَ إلى رمزيتها وتناولنا دورَ وعلاقةَ النوعِ الاجتماعيِ بأراضي العرشِ ووجهاتِ نظرٍ تاريخيةٍ واتجاهاتِ مستقبليةٍ حولَ الأرضِ، أما في الفصلِ الرابعِ والأخيرِ تحدثنا عنْ كيفيةِ استغلالِ الأرضِ وتناولنا في البدايةِ جغرافيةً المنطقةِ، ثمَ عرجنا إلى الأنظمةِ التي يتمُ وفقها استغلالَ أراضي العرشِ كنظامِ الملكيةِ العامةِ ونظامِ تقسيمِ الأراضي نظامَ الفرسانِ ونظامِ السقيِ والحرثِ وتحدثنا عنْ تأثيرِ النسقِ الدينيِ على عمليةِ الاستغلالِ و – علاوةٌ على ذلكَ – أعطينا صورةٌ عنْ منتجاتِ الأرضِ وفي الأخيرِ كانَ الحديثُ حولَ مآلِ أراضي العرشِ وذيلنا البحث بالخاتمةِ مع عرضِ نتائجِ الدراسةِ حسبَ ما وقفنا عليهِ ميدانيا.

الفصل الأول

الإطار النظري والمنهجي

أولا: موضوع الدراسة وأهميته

اِخْتيارنَا لِلْموْضوع كان ذاتيًّا وموْضوعيًّا ويتمَثَّل الذَّاتيُّ مِنْه بِتأثُّري بِالْأنْثروبولوجيّ مَحفُوظ بِنون – رَحمَه اَللَّه – اَلذِي لَا نَكَاد نَعرِف عَنْه شيْئًا وَأوَّل عملا قام بِه هُو دِراسة مِنْطقَته بَجيجْل، كَذلِك أردْتُ أن أَتتَبع مساره وَأقُوم بِأَول عمل أكاديميٍّ، بِالتَّعْريف بِمسْقط رَأْس أجْدادي والْإشارة إِلى بَعْض مَناحِي الحيَاة الاجْتماعيَّة والثَّقافيَّة، وَفِي الحقيقة أنَّ فِكْرَة الدِّراسة راودتْني بَعْد نِقاشي مع أحد الأقارب حَوْل إِمْكانيَّة الاسْتثْمار فِي أَراضِي العرْش، فكانتْ إِجابَته أنَّ الأرْض مِلْكِية عَامَّة لِعَرب الزَّريبة ككُل يَقصِد سُكَّان المنْطقة الأصْليِّين، قَلَّت وَلمَّا لَا يَتِم تقْسيمهَا، وَكُل عَرْش أو عَائِلة تَأخُذ نصيبَهَا، من أَرَاد أن يبيع يبيع وَمِن أَرَاد أن يَعمَل فِيهَا يَعمَل، أجابَني حرْفيًّا " لَا تَستطِيع لَا البيْع ولَا القسْمة خَاطَر لِي دارو السِّيسْتام بَكرِي، دارو سِيسْتَام تَاع يَهُود ما تقدر تبيع ماتقدر تقسم " وَهِي كِناية أنَّ النِّظَام العقاريَّ اَلعرْفِي المعْمول بِه دقيق ومعقَّد، وفيه ذَكَاء وَدَهاء شديد، وَهذَا مَا دَفعَنِي بِشدَّة إِلى اِختِيار هذَا الموْضوع .

أَمَّا الموْضوعيُّ مِنْه هُو التَّعْريف بِنظام مِن أَنظِمة اِسْتغْلال الأرْض مَعمُول بِه إِلى حدِّ الآن ويجْهَله اَلكثِير، وَفِي نَفْس الوقْتِ مُحَاولَة الفهْم والْوصول إِلى الأبْنية التَّصوُّريَّة الموْجودة فِي أَذهَان سُكَّان المنْطقة (العرْش أو اَلعُروش)، ولَا يَتَسنَّى لَنَا فَهْم هذَا النِّظَام إِلَّا بِفَهم البنَاء الاجْتماعيّ وَتحدِيد أَسبَاب وُجُود نِظَام مِلْكِية جَماعِية لِلْأرْض فِي وَقْت تَنزِع فِيه المعْمورة كُلهَا إِلى الفرْدانيَّة.

ثانيا: أهداف الدراسة

أحيانا يكون للميدان سلطة على الباحث ففي مثل دراستنا كان هدفنا هو التعرف على نظام استغلال أراضي العرش، وكيفية تقسيمها وفهم الأنساق والبناءات التي تؤثر بهذا النظام، فوجدنا أنفسنا محددين أهداف أخرى ومنها التعرف على التركيبة الاجتماعية وأصل سكان المنطقة ومعرفة امتدادهم التاريخي، كذلك البحث في ما تمثله الأرض بالنسبة لأهل المنطقة، وفي نفس الوقت فهم طبيعة النظام المعمول به لاستخدام الأرض والانتفاع بها والتعرف على التصورات والتمثلات الثقافية لظاهرة الاستغلال وأشكال وطرق وأساليب الاستغلال للأرض مجال الدراسة، وكذلك التوثيق لهذا النظام أعتبره هدف أساسي.

ثالثا: مجالات الدراسة

1. <u>المجال المكاني</u>

تقع زريبة الوادي zeribeteloued في جنوب شرق عاصمة الولاية بسكرة، وتبعد عنها بمسافة 82 كلم وتتربع على مساحة تقدر بـ:500،90 كلم2 ذكر المقدم الفرنسي (دولارتيف) أن عدد سكانها خلال 1903 يقدر

بـ:1100 نسمة وحسب إحصائيات عام 1999م قدر بـ:17167 نسمة وفي إحصائيات عام 2003م قدر بـ: 18809 نسمة وفي عام 2006م بلغ العدد 21243 نسمة ليبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات الموقع الرسمي لولاية بسكرة التي أجريت عام 2015 حوالي 14126 يمر بها الطريق الوطني رقم: 83 أصبحت مقر دائرة منذ التقسيم الإداري سنة 1984م وتضم قرى كل من بادس، لقصر، أنفيظة الرقمة، ليانة يحدها من الشمال بلدية كيمل (ولاية باتنة)، ومن الجنوب بلدية الفيض، ومن الشرق بلدية خنقة، سيدي ناجي ومن الغرب بلديتي عين ألناقة ومزيرعة، معروفة بالأحياء القديمة نشأت القرية على ضفة (وادي العرب) من أقدم أحيائها العتيقة حي الشطر، حي زقاق الحمران، حي صبرة، حي باب السور، وحارة السوق أما الأحياء الحديثة فهي حي الحرملية الشمالية، حي الحرملية الجنوبية، حي الحرملية الوسطى، حي تجزئة 174 مسكنا، حي تجزئة 462 مسكنا، حي تجزئة 325 مسكنا، حي تجزئة 52 مسكنا، حي تجزئة 48 مسكنا، حي تجزئة 38 مسكنا، حي تجزئة 29 مسكنا، حي تجزئة 100 مسكن، حي تجزئة 18 مسكنا، حي تجزئة 20 مسكنا، حي تجزئة 30 مسكنا والحي الجديد، يوجد بها عدة معالم سياحية وتاريخية مثل الآثار الرومانية، يرتكز نشاطها الاقتصادي على الفلاحة أو الزراعة بالدرجة الأولى ويتمثل في إنتاجها للحبوب كالقمح والشعير، وبعض الخضر كالفول، والجلبانة، واليقطين، والفلفل، والطماطم، والبصل، والثوم إلخ، هذا إضافة إلى منتجات أخرى كالتبغ والحناء.

الشكل رقم (01): خريطة مدينة زريبة الوادي بسكرة

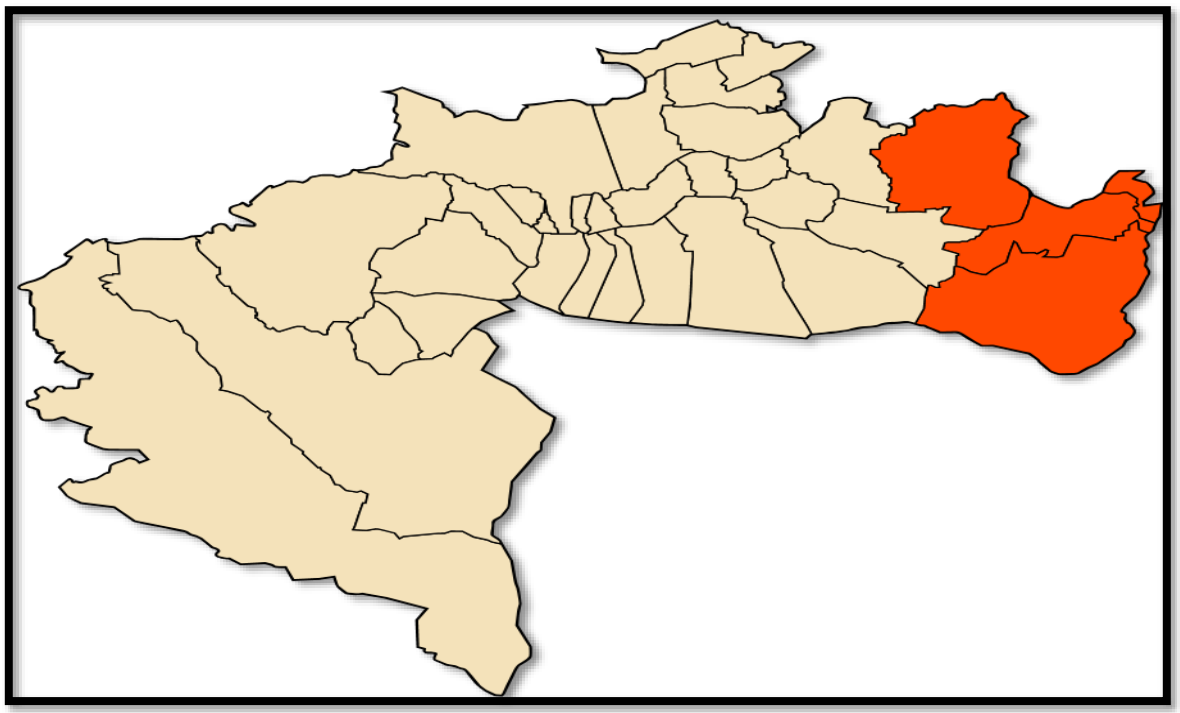

المصدر: ويكيبيديا

2. المجال البشري

وَهُو مَجَال يَتَضمَّن مَجمُوعة مِن الأشْخاص كَعينَة عشْوائيَّة أُجرِيت مَعهُم الدِّراسة الميْدانيَّة، والْواقع أَنهَا تَضُم جَماعَة مِن سُكَّان المنْطقة وَكذَلِك مِن فارقَهَا وَسكَن فِي مِنطَقة أُخرَى، وتمَّ إِجرَاء مُقابلات فَردِية وجماعيَّة أحْيانًا وكانتْ تِلْك المقابلات مُوَجهَة وغيْر مُوَجهَة، لِتسْمح لِلْمبْحوثين التَّعْبير أَكثَر بُغيَة فَهْم التَّصَوُّر والْبناء اَلفكْرِي حَوْل طَبِيعَة الموْضوع، والتَّعرُّف على طَبِيعَة هذَا النِّظَام اَلذِي نَحْن بِصَدد دِراسَته، وامْتدَّ المجَال البشَريُّ هُنَا لِيغطِّي بَعْض الأشْخاص الأجانب الَّذين يَقطُنون ضَواحِي المنْطقة وبمحاذاتهَا، وتمَّ اِختِيار المبْحوثين والْعيِّنات بِطريقة عشْوائيَّة والتَّرْكيز الأكْبر على الفلاحين وكِبَار السِّنّ والْمهْتمِّين بِمَثل هَاتِه الموْضوعات مِن أَساتِذة أو مُتقاعدين وَكذَلِك كِبَار العرْش أو أبْنائهم بِاعْتبارهم مَصادِر لِلْمعْلومات .

ثالثا: المجال الزمني

وَيقصِد بِه اَلمُدة الزَّمنيَّة اَلتِي اِسْتغْرقتْهَا الدِّراسة فِي الحقيقة اِنْطلَقتْ دِراستنَا الميْدانيَّة بِشَكل فِعْلِي بِداية شَهْر مايْ التِي تمَّ فِيهَا زِيارة الميْدان وإِجْرَاء المقابلات مع المبْعوثين، وبالنِّسْبة لِلزَّمن اَلذِي اِسْتغْرقتْه الدِّراسة كَكُل كَانَت تقْريبًا فِي اَلمُدة الممْتدَّة مَا بَيْن 04 نُوفمْبر إِلى غَايَة نِهاية شَهْر مايْ 2024 أيْ حواليْ 6 أَشهُر.

رابعا: إشكالية الدراسة

سعى الإنْسان مُنْذ الأزل على تَلبِية حاجاته مِن مَأكَل وَمُشرَب، وَقَام بِإِخْضَاع الطَّبيعة بِمَا يَتَناسَب وَهذَا الإشْباع، وكانتْ ولَا زَالَت تَستَغِل الأرْض عَادَة قِي عِدَّة نشاطَات زِراعِيَّة لِتغْذِية الإنْسان وتمْوينه، أو صِناعِيَّة لِتلْبِية حاجاته أَمَّا فِي دِراستنَا هَاتِه أردْنَا اِسْتغْلال الأرْض بِطريقة أُخرَى وَهِي مُحَاولَة اَلوُصول إِلى التَّرْكيبة الاجتماعية لِسكَّانهَا، فَفِي الغالب هُنَاك تَصوُّر أنَّ الأرْض اِسْتوْلتْ عليْهَا قَبِيلَة أو عَرْش أو اِثْنيَّة مُعَينَة، ثُمَّ قَامَت تِلْك الجماعة بِإِنْشَاء تَجمُّع ثُمَّ قَريَة ثُمَّ مَدِينَة، والْمدينة كمَا نَعلَم هِي الشَّكْل النِّهائيُّ والْمادِّيُّ لِلْحضارة، دعوْنَا الآن نَفتَرِض فِكْرَة مُغَايرَة وَهِي أنَّ الأرْض هِي مِن قَامَت وشكَّلتْ تِلْك القبيلة وَتَشكلَت مَعهَا العلاقات الاجْتماعيَّة اَلتِي تَنشَأ وَفْق أَدوَار ووظائف الأفْراد والْجماعات، فَلعَل الأرْض هِي مِن شَكلَت تِلْك التَّكتُّلات والْمجْموعات، بِهَدف التَّوَسُّع أو الاسْتحْواذ على مَناطِق أُخرَى أو الدِّفَاع عَنهَا لِلْحفاظ عليْهَا، وَهُو مَنطِق قديم جديد ومَا نشْهده فِي الحرْب الأخيرة اَلتِي نعيشهَا فِي حَرْب غَزَّة خَيْر دليل على ذَلِك فأرْض غَزَّة يُدَافِع عَنهَا مِن أَهْل غَزَّة وَمِن غَيْر أَهلِها، فَوَلاء أَهْل غَزَّة لِأَرْضِهم ، وَمِن مِن خَارِج أَرْض غَزَّة وَلائِه لِأهْلِهَا وتتشَكَّل بِذَلك قَرابَة، وَكذَلِك فِي طرف الآخر مِن الصِّرَاع فَهْم مِن كُلّ حدب وصوْب سِفرْديم مِن جَنُوب أُورُوبا وأشْكيناز مِن شرْقهَا وفلاشَا مِن أفْريقْيَا وَيهُود عرب تجمُّعَهم الأرْض، فالْإنْسان يَتَجمَّع فِي مَكَان مُعيَّن وَيفرِض ثَقَافتَه على ذَلِك المكَان لِتلْبِية اِحْتياجاته، بل الأمْر يَتَعدَّى مَسْأَلة تَلبِية الاحْتياج وَتصبِح الأرْض تُؤثِّر وتتحَكَّم فِي التَّنْظيم الاجْتماعيّ، وَرُبمَا هذَا التَّأْثير نَاتِج عن العلاقة اَلتِي تَنشَأ بَيْن الإنْسان

والْمكان فَأَصبحَت الأَرْض عاملا مَركزِيا ومحْوريًّا فِي اِسْتقْرار المجْتمع أو نُشُوء صِرَاع، وَفِي الغالب تَحْتاج الأَرْض إِلى اَلقُوة، والْقوَّة هُنَا مَا أَشَار إِلَيه اِبْن خَلدُون فِي مَفهُوم العصبيَّة فالْجماعة يُحرّكهم فِكْر دِينيٌّ فِي الظَّاهر (على الأَقلّ فِي عَصْر اِبْن خَلدُون)، لَكِن البقَاء على الأَرْض أو اَلحُصول على أُخرَى هُو اَلقضِية الوجوديَّة وَهُو اَلمُحرك الحقيقيُّ فِي اِعْتقادي .

وعليْه فالْأَرْض (التُّرَاب) كرمْز يُحيل إِلى التَّعْبير على الكيَان والْإِنْسان والْوجود والْهويَّة والتُّراث والْبيئة وَالفِعل اَليوْمِي والذَّاتيّ والتَّفاعل الجماعيّ والتَّعايش والْوَطن، وَغالِبا مَا تَعتَبِر الأَرْض كَأُم مُقَدسَة ولَا وُجُود لَنَا بِدونِهَا، كمَا شَكَّل الإِنْسان عَلاقَة وَثِيقَة مَعهَا وَكوَّن تَعاطُف وِجْدانيٌّ عميق وارْتَبط بِهَا اِرتِباط كَامِل لَا اِنفِصال فِيه ولَا اِنقِطاع، فَهِي كُلُّ شَيْء فِي حَياتِه عليْهَا يسير وَبهَا يَزرَع وَيبنِي وَفِيهَا ماضيه وَحاضِره ومسْتقْبله.

على الرَّغْم مِن ذَلِك لَم تمْنعْه تِلْك العلاقة مِن اِسْتغْلالهَا، فَمُنذ تواجده عليْهَا اِسْتغلَّهَا، – بِالْفِعْل – قِبل آلاف اَلسنِين اِسْتغلَّهَا فِي أَشيَاء بُدائِيَّة وحياتيَّة تَخصُّه وَحدَه، وَتكفِيه فِي عِيشته الضَّيِّقة والْمحْدودة، وتقيه الأَذى، مِثْل بِنَاء الخيم وبناء اَلبُيوت مِن الطِّين اَلتِي كَانَت مَأْوَاه، وَكذَلِك اِهتدَى الإِنْسان الأَوَّل إِلى الزِّراعة وَفَلاحَة الأَرْض بِأدوَات زِراعِيَّة مَحدُودة وبدائيَّة جِدًّا، واسْتغلَّهَا كمرْعًى لِلْمواشي لَكِن مع تَقدُّم الزَّمن وتطوُّر الحيَاة أَخْذ الإِنْسان يُطوِّر الآلَات حَتَّى تُصْبِح حياته أَسهَل وأَسْرع، وبالْموازاة مع تَطوُّر الآلَات تَطورَت كَذلِك وَتَشكلَت أَنظِمة أُخرَى لِلاسْتغْلال فظهرتْ أَنظِمة وانْدثرتْ أُخرَى وَهذَا مَا دَفعَنِي إِلى القيَام بِدراسة حَوْل نِظَام اِسْتغْلال لِلْأَرْض قَائِم ومعْمول بِه حَتَّى الآن فِي مَدِينَة زَرِيبَة الوادي وِلاية بَسكرَة، مِثْل هَاتِه المواضيع تَتَمَيَّز بِندْرة المراجع سَوَاء كَانَت حَوْل كَيفِية اِسْتغْلال الأَرْض أو حَوْل أَهْل المنْطقة (عرب الزَّريبة)، فَكَان سُؤَالنَا على النَّحْو اَلآتِي :

مَا هِو النِّظَام المعْمول بِه لِاسْتخْدام أَراضِي العرْش والانْتفاع بِهَا؟

ومنْه اِخْترْتُ بَعْض الأَسْئلة الفرْعيَّة:

1. **كَيْف تُؤثِّر التَّرْكيبة الاجْتماعيَّة فِي نِظَام اِسْتغْلال أَراضِي العرْش؟**
2. **مَا هِي التَّمثُّلات الثَّقافيَّة لِلسُّكَّان تُجَاه الأَرْض وأَشْكَال اِسْتغْلالهَا؟**
3. **مَا هِي النُّظم والْممارسات اَلتِي يَتِم وَفقُها اسْتغْلال أَراضِي العرْش؟**

خامسا: مفاهيم الدراسة (الكلمات المفتاحية)

1. مفهوم الاستغلال:

فِي مُعجَم اَلغَنِي اِستغَل جِذْرهَا [غ ل ل] اِسْتغْلْلْتُ، أَستَغل، اِستغَل اِسْتغْلالا اِستغَل الأَرْض أيْ اِسْتفَاد مِن محْصولهَا وَغَلتهَا اِستغَل مَالُه : اِسْتثْمره فِي مَشارِيع اِقْتصاديَّة اِستغَل اَلعُمال : اِسْتفَاد مِن مجْهودهم وَعملِهم ولم يُعْطِهم مَا يسْتحقُّون. فِي مُعجَم الرَّائد اِستغَل (غلِل) الأَرْض : أَخْذ غلَّتهَا أو طلب مِنهَا الغلَّة اِستغَل شخْصًا أيْ اِسْتفَاد مِنْه وانْتَفع بِغَير أو قَانُون اِستغَل البائع الشَّاري (جُبْران، 1992، ص 63).

الاسْتغْلال: هُو الانْتفاع بِشَيء بِطريقة لَا أخْلاقيَّة فَإذَا مَا دفع ربُّ العمل لِلْأجِير أقلَّ مِمَّا يَستَحِق أو طلب مِنْه أن يَعمَل فَوْق طَاقَتِه فَهُو مُستَغَل لِجهْده وَعرَقِه ويشير الاسْتغْلال فِي الفكْر المارْكسيّ إِلى اِنتِفاع الرَّأْسماليّين بِجهْد وَعرَق الطَّبَقة الكادحة (مُعجَم المعاني الجامع).

التعريف الإجرائي للاستغلال:

الاستغلال في دراستنا نقصد به هو استخدام الأرض والانتفاع بها وفق أعراف وتقاليد أقرها العروش بغض النظر عن التشريعات القانونية والإدارية للدولة.

2. مفهوم النظام

النِّظَام أو المنْظومة : systēma بِالْيونانيَّة سِيسْتِيم، هُو مَجمُوعة عَناصِر تُشكِّل بِمجْموعهَا اَلكُل ويرْتَبط كُلُّ عُنصُر بِالْآخر وبالتَّالي كُلُّ عُنصُر لَيْس لَه أيُّ اِرتِباط بِأَحد عَناصِر النِّظَام لَا يُمْكِن اِعْتباره جُزْءًا مِن النِّظَام فأجْزَاء النِّظَام المخْتلفة تَرتَبط بُنْيويًّا ووظيفيًّا فِيمَا بيْنهَا وتشْتَرك الأنْظمة فِي خَصائِص ثَلَاث هِي البنْية (تَعرِف بِأجْزَاء اَلتِي يَتَركَّب مِنهَا النِّظَام) والسُّلوك والتَّرابط الدَّاخليُّ. يَستخْدِم المصْطلح لِلتَّعْبير عن مَجمُوعة مِن القواعد اَلتِي تَحكُم بِنْيَة، كَلمَة « Systema » تَعُود إِلى فَلاسِفة اليونان، وَتعنِي تجمُّعًا فِي اَلعُصور القديمة (ويكيبيديا)، فِي اَللغَة العربيَّة نِظَام قد ورد فِي مَعْنَاها فِي لِسَان العرب: النُّظم التَّأْليف نَظمَه يُنَظمه ونظامًا نَظَّم اللُّؤْلؤ أيْ جُمعَة فِي سِلْك، ومنْه نَظَّم الشِّعْر وَنظَّم الأمْر أيَّ قَرْن كُلِّ شَيْء لِآخر وضمِّه إِلَيه (إِبْن مَنظُور ، ص 578).

3. مفهوم العرش (القبيلة)

فمصطلحُ العرشِ في معناهُ اللغوي، هوَ سريرُ الملكِ، والجمعُ أعراشْ وعروشٍ، كما يقصدُ بالعرشِ البيتِ، فعرشُ البيتِ سقفهُ، والعرشُ هوَ المكانُ أيضا. (ابنْ منظورْ، ص 316) والعرشَ يتكونُ منْ مجموعةٍ منْ العائلاتِ الموسعةِ، وهوَ أكبرُ البنى الاجتماعيةِ بعدَ الأسرةِ، يشتملَ على مجموعةٍ منْ الكوانينِ تتراوحُ ما بينَ العشرةِ والثلاثينَ ، تخضعَ في علاقاتها الخارجيةِ، للأكبرِ سنّ في الغالبِ يكونُ ذا حكمةٍ ومالٍ وجاهٍ وورعٍ وتتحالفُ هذهِ الأعراشْ

لتكونَ القبيلةُ فالقبيلةُ إذا، هيَ مجموعةُ أعراشْ والفرقُ بينَ مصطلحِ العرشِ والقبيلةِ يشوبهُ نوعٌ منْ التداخلِ والتشابكِ، فإنَ كانتْ القبيلةُ توصفُ عندَ البعضِ بأنها تحالفا سياسيا لمجموعةٍ منْ الأعراشْ، فقدْ أثبتَ الواقعُ الميدانيُ أنَ البنيةَ الاجتماعيةَ المطابقةَ لشكلِ العرشِ هيَ القبيلةُ، التي تدعى أحيانا بالعرشِ، وهذا التطابقُ معترفٌ بصحتهِ عموما (جبائلي، 1986، ص 82).

وذكر (عيلان، 2022) أن هُنَاك عِدَّة عَوامِل تَتَحكَّم فِي مَدلُول عِبارة العرْش فالْجزائريين لَا يسْتعْملون كلمة (قَبِيلَة) فِي نِظامِهم الاجْتماعيّ والثَّقافيّ بل يُعوِّض بِعبارة عَرْش، لِأَنَّ لَه رئيس (كبير العرْش) وَمجلِس الجماعة الذي يُدير شُؤُونَه الاجْتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقْتصاديَّة فِي علاقاتهم مع مُحيطهِم الخارجي تماما مِثْل تَنظِيم القبيلة، وَهَذان المصْطلحان ظهْرَا قديمًا و (يَتَمائَل فِيهمَا العرب والْأمازيغ) قَبْل الاسْتقْلال وقبْل تَأسِيس الدَّوْلة الجزائريَّة الحديثة فِي 1962 م، وَذلِك لِأَنَّ الجزائريّين كَانُوا يُعالجون قضاياهم بعيدًا عن قَوانِين حُكُومَة الدايات أو البايات أو الاسْتعْمار الفرنْسيّ (ص67).

عند المقارنة بين ما ذكره جبائلي وعيلان، نجد أن مصطلح "العرش" له مدلول يتوافق مع فكرة أن العرش هو سقف البيت أي الشيء الأعلى الذي يغطي على كافة أنحاء المنزل، وفي ثقافتنا الدينية كذلك فإن عرش الرحمن يعلو على جميع المخلوقات، وبالتالي فإن "كبير العرش" هو الأعلى رتبة في التنظيم القبلي والجميع يخضعون لأوامره ويطيعونه هذا ما يعطيه مكانة اجتماعية خاصة، لذا يبدو أن مصطلح "العرش" انبثق من هذا المفهوم الأساسي للشيء الأعلى الذي يعلو وينظم كل ما تحته.

فالعرشُ أوْ القبيلةِ هيَ مجموعةٌ متماسكةٌ اجتماعيا وسياسيا تنتسبُ بصورةٍ فعليةٍ أوْ مفترضةٍ إلى سلفِ عامٍ واحدٍ، وتمتازَ على مثيلاتها بحضارةٍ متجانسةٍ وتنظيمٍ اجتماعيٍ خاصٍ بها، وتقطنَ إقليما معينا تدعي عائديتهُ لها وتتكلمُ لغةٌ أوْ لهجةٍ خاصةٍ بها، وقدْ تكونُ للقبيلةِ سلطةً مركزيةً وقدْ تنقسمُ إلى عشائرَ تعيشُ سويةً أوْ في أقاليمَ مختلفةٍ وترتبطُ في الحالتينِ، وبالإضافةِ إلى روابطِ الدمِ توجدُ روابطُ اجتماعيةٌ واقتصاديةٌ، ويحسَ أفرادها بروحِ الجماعةِ وتكونُ لهمْ نظرةٌ موحدةٌ للعالمِ الخارجيِ (مصطفى سليمٍ، 1981، ص 989).

أعطى النسابة المصري محمد سليمان الطيب صورة تمثيلية لتعريف طبقات النسب في كتابه الموسوم بموسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية وكانت كالآتي:

الشعب: وهو النسب الأبعد كعدنان وقحطان.

القبيلة: وهو ما انقسم فيه النسب كربيعة ومضر من بني عدنان وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها.

العمارة: هي ما انقسم فيها أقسام القبيلة مثل قريش في كنانة وجمعه عمائر.

البطن: وهو ما انقسمت فيه العمارة إلى بطون كبني عبد مناف وبني مخزوم في قريش.

الفخذ: وهو ما انقسم فيه البطن إلى فخوذ كبني هاشم وبني أمية من عبد مناف.

الفصيلة: وهي ما انقسم عليه الفخذ إلى فصائل كبني أبي طالب وبني العباس في بني هاشم (سليمان الطيب،2001، ص24).

وبالموازنة مع الصورة التمثيلية لمحمد سليمان الطيب فالألقاب هي الفصيلة والفرقة تعادل الفخذ والعرش يعادل البطن والعمارة تعادل القبيلة، ولكن سأستعمل كلمة العرش والفرقة والألقاب لأنها تعكس بصورة مباشرة الواقع الميداني.

4. المفهوم الإجرائي للعرش

العرش في دراستنا يكون تقسيمه ثلاثيا أي أنها تبدأ بالعائلات مثل لقبي أنا بسكري أكثر من عائلة تحمل هذا اللقب الموحد ثم فرقة أو عروش تحمل مجموعة معينة من ألقاب تنضوي تحت جد مؤسس مثل عرش أولاد بوجمعة فيه بسكري، شعبان، برمضان، تلي، بن ناجي، بوجمعة وفوق كل هذا النسب يعتبر أو يسمى عرشا فمثلا نحن عرش أولاد بوجمعة وعرش أولاد محمد نتفرع من أولاد مامن وأولاد ما من كذلك مع عدة عروش أخرى يكونون عرش العروش أو ما يعرف بعرب الزريبة والذي يطابقه مفهوم العشيرة مثل عرش العروش الذي يضم عدة عروش فالقبائل الجزائرية والمغاربية بصفة عامة تتميز بهذا التقسيم.

ملاحظة كلمة الرفقة والتي تشبه إلى حد بعيد الفرقة تعني عرشين مستفيدين من نظام استغلال الأرض الذي سنتطرق إليه لاحقا، فأراضي العرش أربعة والعروش ثمانية وكل رفقة تضم عرشين يستغلان إحدى الأراضي الأربعة.

5. مفهوم أراضي العرش

يطلق على الأراضي الجماعية بأراضي العرش "السابقة" في الجزائر، وهي تلك الأراضي التي يحوزها أفراد العرش وينتفعون بها، وفي الغالب تخضع للقواعد العرفية في طريقة استغلالها، لكن بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، حاول استخدامها لأغراض استيطانية على غرار الأراضي الفلاحية الأخرى من نوع ملك: من خلال سياسة التجزئة وتشكيل الملكية الخاصة، وخلفت هذه السياسة الاستعمارية المقننة مشكلة أراضي العرش في الوقت الحاضر، بعد الاستقلال صنفت أراضي العرش والبلديات ذات الطابع الزراعي أو الرعوي كأراض تابعة لملكية

الدولة بموجب نص المادة 13 من الأمر رقم 26/95 المعدل والمتمم لقانون 25/90 المتضمن التوجيه العقاري، وطبق عليها سابقا قانون 73/71 المتعلق بالثورة الزراعية، ثم قانون19/87 المتعلق بالمستثمرات الفلاحية، لكن بعد إلغائه سنة 2010، بموجب قانون03/10، أصبح يطبق عليها أسلوب الامتياز الفلاحي، كما تخضع للاستصلاح، إذا ما صنفت كمحيطات استصلاح (حاجي، 2018، ص300)

أرض العرش تعرف بالوطن كذلك، وهو إقليم جغرافي، تسكنه قبائل وأعراش تجمعهم رابطة الأرض، أكثر من رابطة الدم، عكس بني فلان، التي تجمعهم رابطة الدم والوطن إقليم جغرافي يتميز بخصائص معينة، ينفرد بها عن بقية الأوطان، تعيش عليها جماعات بشرية، تجمعها رابطة الأرض (غرداوي، 2015، ص104).

ملاحظة: مفهوم العرب هنا ليس مفهوم إثني نقصد به سلالة محددة بل مفهوم ميداني يطلق على سكان منطقة معينة فيقال عرب مشونش عرب النمامشة سابقا، ولازال يستعمل لحد الان لتمييز المنطقة فعند ذكر أي منطقة من ضواحي زريبة الوادي يكون الانتساب الى جد مؤسس وتستعمل مفردة أولاد او اهل ثم الجد ثم المنطقة مثل أولاد عمر زريبة حامد، أولاد عبد الرحمن المزيرعة، اهل ملكم البغيلة، اهل أيوب سيدي مصمودي، او اسم العرش مباشرة خذران سيدي عقبة او عين الناقة، سراحنة كيمل اما مجتمع الدراسة يطلق عليهم عرب الزريبة فهو مفهوم وصفي ليس تصنيفي يطلق على سسكان منطقة.

سادسا: الدراسات السابقة لموضوع الدراسة

شملت الدراسات السابقة عدة موضوعات اهتمت بأنظمة استغلال الأرض او أنظمة السقي او أراضي العرش من الناحية القانونية او من ناحية تاريخية ومن اهم الدراسات لتي وقفت عليها:

دراسة جمال عناق وهي أطروحة دكتوراة موسومة بعنوان موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ من خلال كتاب القسمة و أصول الأرضين للفرسطائي سنة 2016/2015 في جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر02 وهي دراسة تاريخية أثرية، تحدث فيها عن جغرافية المنطقة وحياة الفرسطائي واحكام المياه في كتابه وهندسة الري وتطبيقاتها الميدانية، وخلصت دراسته الى ان المعطيات الجغرافية والطبيعية اثر فيها التذبذب في هطول الامطار الذي اثر بدوره في قلة تنوع المصادر المائية فكان لزاما عليهم البحث عن حلول ممكنة والاعتماد على امكانياتهم الخاصة لمواجهة هذه الظاهرة وهي مهمة تشاركت فيها أجيال بما فيها جيل القرن الخامس للهجري، وهو قرن ازدهار وتقدم في العالم الإسلامي الذي شهد خركة علمية وفنية تبلورت فيها وازدهرت فيها مختلف العلوم والاداب والصنائع وقيام مشروعات مائية كاستجابة للوضع الطبيعي الصعب الذي كان يحتاج الى حلول احتماعية واقتصادية وهندسية كهندسة السواقي والمقاسم.

دراسة نعيمة حاجي كذلك هي أطروحة دكتوراة معنونة ب: النظام القانوني لاراضي العرش سنة 2015/2014 جامعة الحاج لخضر باتنة وهي دراسة قانونية شعبة القانون العقاري كلية الحقوق والعلوم السياسية، تطرقت فيها الى الاطار القانوني لاراضي العرش والاطار المفاهيمي لها والطبيعة القانونية وحيازة أراضي العرش وأساليب استغلالها القديمة والحديثة وخلصت دراستها الى ان أراضي العرش من اقدم أنواع الأراضي في شمال افريقيا والجزائر مشكلة على أساس النمط القبلي الذي شكل اول صور التجمعات البشرية فكانت تتوسع القبائل على هذه الأراضي وتتنقل بين الحين والأخر تتبعا لمواطن الكلا و والماء، وخضع تنظيمها للقاوعد والقوانين العرفية التي تشكلت وفق احتياجات القبائل والعروش مع انفرادها بخاصية الشيوع وهو المحرك الرئيسي المنظم لها، وبتوالي الاحداث التاريخية وتعاقب المستعمرات من الفينيقين ثم وصول الدولة الإسلامية الى اخر عهدها مع الدولة العثمانية وبعد الاستعمار االفرنسي شكلت أنماط كثيرة لانظمة عقارية ساهمت في وضعها الدول المستعمرة فشكلت ملكيات خاصة وأخرى تابعة للدولة فانحصرت أراضي العرش في مناطق معينة وحافظت على نظام استغلالها من طرف العروش والتي أصبحت هاته الممارسات عالة على المنظومة العقارية الجزائرية بعد الاستقلال الى يومنا هذا وذيلت اطروحتها ان ميراث أراضي العرش ينافي قواعد الشريعة الإسلامية ومبادئ حقوق الانسان فيما يخص عنصر المرأة.

سابعا: صعوبات الدراسة

تمثلتْ صعوباتِ الدراسةِ في ندرةِ المصادرِ والوثائقِ المتعلقةِ بالممارساتِ الفلاحيةِ التقليديةِ، مما يضطرنا إلى الاعتمادِ بشكلٍ كبيرٍ على المعلوماتِ الشفويةِ والملاحظةِ المباشرةِ، حتى وإنْ كانتْ بعض المصادر فهيَ تعودُ لحقبةِ الاستعمارِ الفرنسيِ ولمْ تغطِ كلُ الجوانبِ الاجتماعيةِ والثقافيةِ كذلكَ الثقةَ والتواصلَ معَ مجتمعِ الدراسةِ كان أشكالية في حد ذاته بالرغمِ منْ أنني أنتمي قرابيا للمجتمع المدروس، ألا إنْ للموضوعِ حساسيةً سياسية واجتماعية، ويتطلبُ بناءُ علاقاتِ وكسبِ ثقةِ مجتمعِ الدراسةِ وهوَ أمرٌ حاسمٌ يتطلبُ وقتا وجهدا كبيرينِ. وكذلكَ صادفتنا صعوباتُ التنقلِ للمكانِ حيثُ تبعدُ عنْ ولايةِ الإقامةِ بحواليْ 82 كيلومترا، كذلكَ الذهابُ إلى ميدانِ الدراسة (أراضي العرش) يتطلبُ وسيلةَ نقلٍ تلائمُ طبيعةَ المنطقةِ لكثرةِ الوديانِ ووعورةِ التضاريسِ إما بسيارةٍ رباعيةٍ الدفعِ أوْ دراجةٍ ناريةٍ منْ نوعِ ليفانْ lifan –وهذا ما اعتمدناه– التي أثبتتْ نجاعتها لمرونتها عندَ السيرِ في الأراضي الفلاحيةِ الوعرةِ وفي مثلٍ هاتهِ المناطقِ، كذلكَ تمَ التصويرُ بالهاتفِ والأفضلِ لوْ كانَ بطائرةٍ مسيرةٍ (درونْ) التي تستطيعُ بواسطتها تتبعَ الوادي، فقضينا يوما كاملاً لتتبعِ الوادي ولمْ نستطعْ الوصولُ إليهِ لتشابكِ الأوديةِ وانحناءتها ونفاذَ الماءِ ووقودِ الدراجةِ منا، ولا يفوتني أنْ أنوهَ بالإعانةِ الكبيرةِ التي قدمها لي الطالبُ عبدَ الرحمنْ بدرة بواسطةِ دراجتهِ الناريةِ والتي أتاحتْ لي فرصةٌ الوصولِ إلى الميدانِ وتمَ التقاطُ بعضِ الصورِ بهاتفي لتوثيقِ الدراسةِ كذلكَ واجهتنا

صعوبةَ تحديدِ المواعيدِ معَ كبارِ العرشِ أوْ كبارِ السنِ لارتباطاتهمْ منْ جهةٍ وحساسيتهمْ إزاءً هاتهِ المواضيعِ فهمْ لا يدركونَ حقيقةُ مهمة الباحثِ وكمِ منْ مرةٍ وبعدَ الوصولِ إلى المنطقةِ يتغيرُ الموعدُ أوْ يضربُ لي موعدا آخر.

ثامنا: أدوات جمع المعطيات ومنهج الدراسة

1. أدوات جمع المعطيات

الملاحظة العادية

طريقة منهجية ساعدت في فهم موضوع الدراسة وملاحظة التفاعل الوثيق بين المبحوثين(الجمهور) وبين موضوع الدراسة، وتراعي طبيعة المجتمع محل الدراسة لأنها تتضمن أفكار وعناصر الموضوع، مما يتيح الفرصة للجمع الميداني المنظم، واعتمدتها في تقريري هذا بالذهاب إلى أراضي العرش والوقوف على كيفية استغلال الأرض الفلاحية، وتسجيلها بواسطة الهاتف كتابيا، الملاحظة الدقيقة لطبيعة الأرض والمبحوثين أعطتنا مادة اثنوغرافية غزيرة وواقعية ناتجة عن تفاعل وثيق بين الباحث والممارسين وموضوع الدراسة نفسه وقمت بالتصوير والتوثيق بواسطة الهاتف كذلك.

الإخباريون

وهم مجموعة من الأشخاص من مدينة زريبة الوادي قاطنين وغير قاطنين فيها، يعيشون/أو كانوا يعيشون في زريبة الواد وهم كذلك من كبار ومتوسطي السن، في البداية الدراسة كانت مقتصرة عليهم فقط لحساسية الموضوع منهم المتعلمون وغير المتعلمين وموظفين وتجار وأيضا اعتمدت على بعض الفلاحين لإعطائي صورة عن كيفية استغلالهم للأرض وكيفية التعاطي مع الأعراف والقوانين التي تسير هذا النظام.

المقابلة الغير المقيدة

وهي موقف يلتقي فيه الباحث مع المبحوثين فيوجه إليهم مجموعة من الأسئلة ليعرف اتجاههم وتصورهم الفعلي نحو نظام استغلال الأرض، وبالتالي فهي تتيح الاتصال المباشر وجمع المعلومات الواقعية بقدر الإمكان من المبحوثين –علاوة على ذلك– فهي تتيح للباحث فرصة متابعة المبحوث أثناء استجابته وقراءة ملامحه وحركاته اللفظية والأدائية، وقد اعتمدنا على المقابلة غير المقيدة لجمع المعلومات الميدانية للمهتمين بأراضي العرش أو الفلاحين الذين يقومون باستغلالها فأفادتنا في التعرف على خصائص مجتمع الدراسة والأسباب التي تدفعه إلى التمسك بهذا النظام أو الناقد له، وقد ساعدنا أفرادا في إجراء هاته المقابلات بشكل إيجابي، المقابلة كانت أهم أداة في دراستنا لأننا نبحث على تصور الناس لهذا النظام وكيف يفهمونه، وكانت المقابلة أحيانا فردية وأحيانا جماعية.

2. الأدوات الإجرائية للدراسة

المقاربة النظرية

إعتمدنا في دراستنا على المنهج البنائي الوظيفي، حيث يؤكد هذا الاتجاه على التبادل الوظيفي بين عناصر البناء ومكوناته مع إبراز الطابع الاجتماعي للتحليل الوظيفي لتحقيق الفهم الكامل للأنساق الاجتماعية، مع إبراز الطابع الاجتماعي للتحليل الوظيفي لتحقيق الفهم الكامل للأنساق الاجتماعية، لذا يستخدم لتفسير الدور والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها ظاهرة معينة أو نظام معين في البناء والنسق أو التنظيم الاجتماعي، باعتباره جزءا منه فكل نظام في النسق الاجتماعي يرتبط مع بقية النظم الأخرى، ومن جهة أخرى لا يمكن تناول أي ظاهرة أو عرض موضوع لدراسة في مجتمع ما، دون الإلمام بأسباب ظهوره، فلا يمكن الفصل بين البناء الاجتماعي والنسق أو النظام الاجتماعي بسبب العلاقات والمواقف التبادلية التي تخضع لمعايير تقويمية واحدة أو مماثلة التفاعل يشمل العناصر التي تنطوي عليها النظم والأنساق، يرى بارسونز أنها تتمثل في القيم والمعتقدات والمعايير الثقافية والأخلاقية والجمالية (الخشاب، 1988، ص 25).

ولن يكون التناول النسقي كاملا إلا من خلال تفاعله مع بقية الأنظمة الأخرى لكون النظرية الوظيفية تكتسب خاصية الهدفية عند بحثها عن الأسباب والآثار والنتائج وللتحليل مستويين: مستوى التحليل الوظيفي وهو أسلوب منهجي ومستوى التحليل الأنثروبولوجي وهو أسلوب تفسيري في هيكل معرفي، حسب دوركايم إذا طرأ على البنى الاجتماعية أي اضطراب فإن المجتمع يعمل تدريجيا و- تلقائيا- على استعادة توازنه عن طريق خلق مجموعة من الميكانيزمات الاجتماعية التي تمكنه من الاحتفاظ بتوازنه(مصباح، 2004، ص 122).

إذا فالتحليل البنيوي هو تحليل واقع الظواهر الاجتماعية كما تجري في واقع المجتمع دون التغاضي عن خصائصها الحقيقية وسياقاتها التاريخية، وكذلك دون إهمال تحليل الرموز الثقافية التي تكشف عن نمط التفكير الذي تكون في شكل الطقوس والعادات والمعتقدات ومختلف الممارسات والاعتقادات ولا معنى للجزء دون علاقته مع الأجزاء الأخرى ولا يمكن فهم البنية إلا من خلال الكل المترابط في عناصره الجوهرية والثابتة (مصباح، 2004، ص 124).

مرحلة البحث النظري

يعتبر موضوع البحث من المواضيع التي تفرض عليك عدة مناهج مطروحة للتعمق في مختلف المواضيع ذات الصلة به وجمع المادة العلمية اللازمة خاصة بموضوع الدراسة، انطلاقا من الكتب التاريخية والدينية والمقالات

المنشورة في المجلات العلمية وزيارة المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت ومن مذكرات التخرج، والإلمام بكل هذه المواضيع التي لها علاقة سواء مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة.

منهج الدراسة

المنهج الإثنوغرافي

تم الاعتماد في دراستنا على المنهج الاثنوغرافي للوصول إلى النتائج المرجوة، وكما جاء في تعريف الاثنوغرافيا في ورقة علمية أعدتها نهلة القصيمي وفاطمة الاسمري عنوانها المنهج الاثنوغرافي هي " الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ولمجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترَة زمنية محددة، الإثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا" (القصيمي، الاسمري،2020، ص5). كذلك قمنا بتطبيق "الاتجاه الوظيفي" الذي يدرس الظواهر في إطارها وسياقها الكلي بهدف التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم، كما يمكن هذا الاتجاه من دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي من ناحية، والتعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام من النظم الاجتماعية من ناحية أخرى، لمعرفة طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع ككل نرى راد كليف براون يوجه اهتمامه إلى دراسة المجتمع لا إلى الثقافة، فيؤكد أن المجتمع يتكون من أجزاء متداخلة وظيفيا، وهو بذلك يسعى إلى الوصف الدقيق للأداء الوظيفي للأبنية الاجتماعية الموجودة في المجتمعات الإنسانية ودورها في الحفاظ على البناء الاجتماعي ومحاولة التصنيف المنهجي للظواهر الاجتماعية وصياغة القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية فالمنهج البنائي الوظيفي يهتم اهتماما كبيرا ببناء الثقافة في حد ذاتها، وإيضاح العلاقة القائمة بين أجزائها، لأنه يهتم بدراسة المجتمع والثقافة والعلاقات المتداخلة والمتشابكة بينهما التي تتساند مع بعضها تساندا وظيفيا، وتمت الاستعانة كذلك بالمنهج التاريخي في التعرف على التركيبة الاجتماعية لموضوع الدراسة.

الفصل الثاني

التركيبة الاجتماعية لعروش عرب الزريبة

تمهيد

تميزت الدراسات الأنثروبولوجية التي ركزت على دراسة المجتمعات التقليدية البسيطة التي درسها علماء الأنثروبولوجيا من جانب أن الأنساق الاجتماعية التي يتألف منها البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات بما فيها نسق القرابة انطلاقا من أن القرابة هي ظاهرة بنائية ارتبطت بمجال الأنثروبولوجيا، ويرى الكثير منهم أن أحسن وسيلة لتحليل ودراسة البناء الاجتماعي للمجتمعات التقليدية هي الانطلاق من تحليل ظاهرة نظام القرابة، فنظام القرابة عبارة عن نقطة انطلاق لفهم وتحليل البناء الاجتماعي بالنسبة لتلك المجتمعات فمصطلح عرش منشئه اجتماعي في الأصل، وأرض العرش تعتبر المكان الذي تتخذه العشيرة أو القبيلة باعتبارها كيانا اجتماعيا له خصوصيته، لتمارس من خلاله سبل العيش الملائمة لعاداتها وتقاليدها فالعرش أحد أشكال القبيلة ولا ينكر احد عبقرية ابن خلدون الذي قام بدوره بالتركيز على فهم بنية القبيلة انطلاقا من مفهوم العصبية لما يمثله من أهمية في تشكيل اللحمة القبلية، وجعل لذلك مرتكزات في مقدمتها مسألة النسب، الذي عبر عنه بطريقة رمزية بمعنى أن النسب الذي يجمع أفراد القبيلة لا يقوم على روابط دم حقيقية دائما حيث يقول "أعلم أنه من البين أن بعضا من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء" ومازالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم فالنسب هنا لا يعدو أن يكون معطى وهمي لا يصمد أمام وقائع الاختلاط وعلاقات الجوار ومن جهة أخرى يشير إلى دور العامل الجغرافي والاجتماعي والسياسي، أي تبلور الوعي بمصلحة عامة ومشتركة تشد جميع أعضاء القبيلة لما تستلزمه الحياة الجماعية من الدفاع عن الملكية الجماعية ضد الخطر الخارجي، مما يذكي الإحساس بالانصهار ضمن المجموعة ويعزز تلاحمها الداخلي (شبلي،2017،ص20) ونحن في هذا الفصل سنتطرق إلى العرش كتنظيم اجتماعي ومحاولة إيضاح التركيبة الاجتماعية لعرش عرب الزريبة ومحاولة تتبع سكان المنطقة بعيون الرحالة والمؤرخين ومن هو مؤسس زريبة الوادي حسبهم ؟

أولا: البناء العشائري

البناء القبلي أو العشائري بالدرجة الأولى، يعتبر بناء مجتمع بدوي إذ يرى Evans Pritchardايفانز بريتشارد أن الذي يدخل في تكوين البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية هو تلك الجماعات الكبيرة المتماسكة كالعشيرة أو القبيلة، نظرا لاستمرارها في الوجود لأجيال طويلة رغم كل ما يطرأ على مكوناتها من تغيرات، مثل موت عدد كبير من أعضائها أو هجرتهم منها، أو انضمام أعضاء كثير جدد إليها أو حتى زوال أجيال بأكملها ولكنها أي – العشائر والقبائل– تظل مع ذلك محتفظة بكيانها وملامحها الأصلية وتفرعاتها وصلة هذه الفروع أو الأقسام، كل واحدة بالأخرى أي أنها تعكس دائما نفس النمط من العلاقات الاجتماعية و يدل لفظ معشر لغويا على جمع من الأفراد يعيشون معا عشرة عشرة سعيا وراء الرزق عن طريق قطف الثمار و القنص و الصيد برا و بحرا و لا يشترط أن يتكون المعشر في كل الأحوال من عشرة فقط بل قد يقل أو يزيد على حسب الظروف، المهم أن الكل يحيا حياة تنقل وعدم استقرار وأقرب ما تكون إلى حياة المعسكرات والمخيمات، فالدلالة اللفظية توحي بأنه جماعة من الأفراد جمعهم مخيم واحد يعيشون في ترابط اجتماعي، يسيرون وينتقلون معا عشرة عشرة، ابتغاء تحصيل القوت الضروري لحياتهم وهذا الترابط الاجتماعي لا يقوم على الوحدة العائلية أو قرابة الدم إنما يركز على العامل الاقتصادي والطبيعي الذي قوامه الحصول على القوت وتدبير الحاجات المادية وإشباع الرغبات والميول الإنسانية و المحافظة على الكيان الاجتماعي سواء ضد الحيوانات الضارية أو ضد عدوان الترابطات الجماعية المعادية لها(الخشاب، 1970، ص 435).

يعرف دوركايم العشيرة بأنها مجموعة من الناس يعد كل منهم نفسه قريبا للأخر، لكنهم لا يعترفون بهذه القرابة إلا بناء على هذه العلاقة الخاصة جدا وهي أنهم ينتمون إلى طوطم واحد، هذا الطوطم نفسه كائن قد يكون حيا أو غير حي، اسمهم الجماعي يكون عليه أو يأخذون صفة من صفاته –اسم القبيلة يكون اسم الطوطم أو صفة من صفات الطوطم –حتى إن كان شيء كالحجارة أو الأشجار أو حيوانا كالذئاب أو صورة من الطبيعة، كالريح أو المطر أي أنهم مشتركون في طبيعتهم الغيبية الواحدة حسب اعتقادهم، أقر دوركايم بأن المكان الإقليمي لا دخل له فيما يربط بين القوم من تضامن، فالعشيرة لا تقوم في الأصل على المكان(الفوال،2002، ص71).

يرى جاك بيرك أن القبيلة في الجزائر مبنية على علاقات القرابة بين كل أفرادها، وأنهم ينتسبون إلى نفس الجد الذي قد يكون شخصية حقيقية، أو قد يكون شخصية خيالية– أي لا وجود لها في الواقع– ويعيش الأبناء في المنطقة التي تعود لجدهم، المعترف بها اجتماعيا وقد يحدث أن يغادر بعض الأبناء مكانهم(موطنهم) الأصلي

يستقرون في مكان آخر دون أن يتخلى عن انتمائه لقبيلته ولا عن اسمها، وتزول علاقات القرابة بمرور الزمن وعندما تفقد الذاكرة الجماعية جذورها العميقة في التاريخ، تختلق البطولات والأساطير لإحيائها وللتأكيد على الانتماء للمجموعة(Berque. 1970.p27) .

تناول موردوك العشيرة على أنها جماعة تتميز بقيامها على أساس تسلسل قرابي واحد، إما من جانب الأب أو من جانب الأم، تتميز أيضا بتوافر وحدة مكانية لأفراد العشيرة أي أن يعيش أفرادها في مكان واحد، لذلك لا بد من أن تكون القاعدة السكنية التي تتبعها العشيرة متوافقة مع قاعدة التسلسل القرابي وهناك أيضا شرط ثالث للعشيرة يتمثل في وجود تماسك اجتماعي قوي بين أفراد العشيرة حسب إيفانز بريتشارد من خلال تحليله للعشيرة لدى النوير: "إن العشيرة تتألف عادة من عدد من البنيات التي يصل عمق بعضها البعض إلى أكثر من 10 أجيال، لكن كل منها ينقسم إلى عدد من البنيات المنقسمة وهكذا... " ويطلق ايفانز بريتشارد على هذه البنيات التي تنقسم إليها العشيرة اسم البدنات الكبرى ويعرفها صلاح الفوال على أنها تتكون من اتحاد عدد من الأسر– وربما الأفخاذ والبطون– تشترك جميعها في نسب أو عصابة واحدة وبدرجة تمكنهم من أن يرجعوا بأصولهم إلى جد واحد مشترك كما توجد بينهم مجموعة من الحقوق والواجبات فضلا عن المصالح الاجتماعية والاقتصادية، التي توحد بينهم وتجعلهم يسكنون متجاورين، حتى تسهل عليهم من جهة أمور المدافعة ضد أي عدوان خارجي، ومن جهة أخرى تنظم مختلف نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية وفق تقاليد وأعراف مرعية، ومن خلال رئاسة دنيوية ودينية، أبوية، وراثية في معظم الأحوال، فهي أول طائفة نجدها في المجتمعات الدنيا، وهي جماعة ذات طبيعة سياسية وعائلية معا وذات طابع غيبي وينشأ التماسك بين أعضائها من اعتقادهم بأنهم جميعا ينتمون إلى نوع واحد من الطوطم ويسمون لذلك باسم واحد ويعتقدون بأنهم من أصل واحد (بلبول،2008،ص84).

ثانيا: القبيلة أو العرش كتنظيم اجتماعي

الصورة البيانية التي اكتسبها العرش وهو كيان اجتماعي تأسس في البداية على أسس قرابية أي الانتساب لجد مشترك اكتسبها من دوره ووظيفته في البناء الاجتماعي العام فلا يستطيع الناس الاتجاه نحو شؤونهم، دون معرفة نوع السلوك الذي يترقبه الآخرون منهم، وكذلك نوع التصرفات التي يتوقعونها –هم أنفسهم –من الآخرين في مختلف مواقف الحياة الاجتماعية، فينظمون نشاطهم تبعاً لقواعد مرسومة بحسب قيم معينة يتعارف عليها، فيستطيعون التنبؤ والتكهن بالأحداث، وذلك يمكنهم من ترتيب حياتهم بما يتفق ويتماشى مع حياة الآخرين ومن يدقق في تركيبة القبائل أو العروش في الجزائر يجد أنه مع مرور الوقت وكثرة الحل والترحال واتساع العرش أو ضموره أحيانا والسياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية كلها لعبت دورا في إضعاف أو تقوية شوكته فكانت تنضم

إليها عوائل وعروش أخرى ليست من نفس نسبه، احتماء به أو فرارا إليه أو تحالفا معه أو تجاورا بل وحتى انصهار فيه، ويصبح المكونين له سواء المكون الأساسي للعرش أو المكون الحليف الدخيل فيه يحملان نفس اسم العرش أو الفرقة فلذا نرى شبه إجماع عند المهتمين بالأنساب في الجزائر أنه هناك عروش أمازيغية تعربت وعروش عربية تمزغت إن صحت العبارة فاخترنا في هاته المذكرة صورة تمثيلية غير المتعارف عليها عند النسابة تتناسب مع موضوع دراستنا:

فالقبيلة: هي النسب الأبعد في دراستنا قبائل عربية قبائل أمازيغية.

فالعرش: هو ما انقسمت عليه القبيلة الى عشائر أو عروش.

الفرقة: وأحيانا تسمى عرش هي ما انقسم عليه العرش تعرف بأولاد شخص معين غالبا.

الألقاب: هي ما تنقسم عليه الفرقة أي أسماء العائلات.

وبالمقارنة مع الصورة التمثيلية لمحمد سليمان الطيب (2001، ص24) في كتابه الموسوم بموسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية فالألقاب هي الفصيلة والفرقة تعادل الفخذ والعرش يعادل البطن والعمارة تعادل القبيلة ولكن سأستعمل كلمة العرش والفرقة والألقاب لأنها تعكس بصورة مباشرة الواقع الميداني.

ولذلك يكون تقسيمها ثلاثيا أي أنها تبدأ بالعائلات مثل لقبي أنا بسكري أكثر من عائلة تحمل هذا اللقب الموحد ثم فرقة أو عروش تحمل مجموعة معينة من ألقاب تنضوي تحت جد مؤسس مثل عرش أولاد بوجمعة فيه بسكري ، شعبان ،برمضان ، تلي، بن ناجي، بوجمعة. وفوق كل هذا النسب يعتبر أو يسمى عرشا فمثلا نحن عرش أولا بوجمعة ومع عرش أولاد محمد نتفرع من أولاد مامن واولاد مامن كذلك مع عدة عروش أخرى يكونون عرش العروش أوما يعرف بعرب الزريبة، والذي يطابقه مفهوم العشيرة مثل عرش العروش الذي يضم عدة عروش فالقبائل الجزائرية والمغاربية بصفة عامة تتميز بهذا التقسيم .

ملاحظة كلمة الرفقة والتي تشبه إلى حد بعيد الفرقة تعني عرشين مستفيدين من نظام استغلال الأرض الذي سنتطرق إليه لاحقا فأراضي العرش أربعة والعروش ثمانية وكل رفقة تضم عرشين تستغل إحدى الأراضي الأربعة.

ثالثا: التركيبة الاجتماعية لعرش عرب الزريبة

تعد القبيلة أو العرش من أقدم المؤسسات الاجتماعية والسياسية، وهي أصل التجمعات البشرية منذ القدم، وتحظى في المجتمعات التقليدية بمكانة مهمة تتجلى في كونها معبرة عن انتماء الفرد إلى الوحدة الاجتماعية التي تشكل الحاضنة الأساسية له .

وقد يكون أساس هذا الانتماء أساسا جينيا، كالانتماء إلى جد واحد مشترك، وقد يكون الانتماء القبلي ناتجا عن تحالف بين مجموعة من الأفراد أو مجموعة من القبائل مشكلين بذلك قبيلة، تكون مرجعيتهم العصبية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، اِنصهرت فيها محددات اجتماعية مختلفة حقيقية أو وهمية، وتسكن القبيلة مجالا محددا ترسم حدوده، وتتحدث لغة واحدة مشتركة وهكذا، فإن القبيلة أو العرش وهو وحدة اجتماعية تؤدي وظيفة توفير الحماية لأفرادها في غياب الأنظمة السياسية الحديثة، وهي أيضا جماعة الجسم الواحد كما يعرفها بعض الباحثين السوسيولوجيين، ولقد عنت الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية بموضوع القبيلة وجعلته صلب اهتماماتها النظرية والإمبريقية، حيث شكلت القبيلة مادة معرفية دسمة للأنثربولوجيين الأوائل، على اعتبار أن القبيلة هي رابطة قرابية حقيقية تنتمي إلى جد جامع، أو متوهمة إستراتيجية نتجت عن تحالفات دعتها الضرورة الأمنية في المجال البدوي المفتوح، والقبيلة مؤسسة اجتماعية تقوم بأدوار اقتصادية واجتماعية وسياسية، تمتاز بها المجتمعات البدائية التقليدية، والتي تحدد سماتها الثقافية والحضارية، إن البناء القرابي المتحدث عنه في هذا السياق مبني على القبيلة كدعامة أساسية للحياة الاجتماعية البدوية، وكنمط معيشي حيث أنها قائمة على الأرض تراب القبيلة (أراضي العرش)، الشيء الذي يجعل منها وحدة اجتماعية تستند على الملكية الجماعية على حد قول ميشوبلير، وتعتمد على التضامن الميكانيكي على حد تعبير إميل دوركايم.

إن الصورة البنائية في ظروف معينة تتغير بالتدرج، أو بشكل مفاجئ كما يحدث في حالة الغزو العسكري، ومع ذلك يظل البناء الاجتماعي متماسكاً ومحتفظاً بمعظم ملامحه لأنه أساس مرتب، البناء الاجتماعي يشمل المجموعات الاجتماعية التي تتمتع بدرجة عالية من القدرة على البقاء لفترات طويلة من الزمن، مثل الأمم، والقبائل، (البناء الواقعي) يتغير على عكس (الصورة البنائية) التي تحتفظ بخصائصها وملامحها الأساسية دون تغيرات لفترات أطول من الزمن، التي تتمتع بدرجة عالية نسبياً من الثبات، فمجتمع الدراسة قبل سبعين عاما أثناء الثورة أو قبلها ليس كما هو اليوم في واقعه من حيث الأشخاص، فكثير من الناس قد ولدوا وماتوا وانتقلوا الى أماكن أخرى، وتغيرت مراكزهم الاجتماعية، ولكن أنماط العلاقات ما زالت تحتفظ ببعض الصفات فالصورة البنائية لمجتمع الدراسة وأن كانت قد تغيرت تدريجياً إلا أنها ما زالت تحمل بعض الملامح الأصلية.

المتتبع للكتب التاريخية والروايات المحلية يتأكد له أن عرب الزريبة هم عشائر تشكلت عبر تحالفات من أجل البقاء، فبعد استوطناهم في المنطقة كانت صراعات عديدة على الحكم ولم تعرف المنطقة هدوءا من قبل، فما أن تقوم دولة إلا وتزيحها أخرى والقبائل الموالية أو الغير كذلك كانت بين مهيمنة ومهيمن عليها، إلا أن المنطقة والبيئة الجغرافية وفرت لساكنيها حماية فعند حدوث حربا أو غزوا يلجؤون إلى جبال أحمر خدو في الأوراس ليحميهم هكذا كانت البدايات حتى استقرت نهائيا ثماني فرق سميت بعرش العروش يتكون عرش العروش من ثمانية أعراش ويعتبرون هم السكان الأوائل لزريبة الوادي واعتبرناهم فرقا وكل فرقة تضم ألقاب عائلية خاصة بها وهي كالآتي:

فرقة أولاد بوجمعة، فرقة أولاد محمد، فرقة الشواطرة، فرقة أولاد مسلم، فرقة البقيرات، فرقة لبحارة، فرقة أولاد ساسي يعتبروا أنفسهم(نوايل) أي من عرش أولاد نائل الغني عن التعريف، فرقة أولاد الحاج.

فرقة أولاد بوجمعة تتكون من الألقاب التالية: بسكري، شعبان، برمضان، تلي، بن ناجي، بوجمعة.

فرقة أولاد محمد تتكون من الألقاب التالية: ساعد، بن دحمان، ناجي، قاسمي، صالحي، ركيس، حمداوي، بن مزوز، بن عمار، شريط.

فرقة الشواطرة تتكون من الألقاب التالية: سلاوي، بلمبروك، جدو، درنون، حاجي، غربي.

فرقة أولاد مسلم تتكون من الألقاب التالية: العابدي، خالدي، زريبي، درنون، صادقي، بسة.

فرقة البقيرات تتكون من الألقاب التالية: بادي، لوصيف، حملاوي، بن عيسى، مباركي، سعادي.

فرقة لبحارة تتكون من الألقاب التالية: بحري، جعيدر، شابي، سعيدي، درنون، عمروش،هاشمي.

فرقة أولاد ساسي تتكون من الألقاب التالية: حامدي، كشاد، عمران، هوام، لعبيدي، زريزيره، ساسي، ظهراوي، علاق، منصوري.

فرقة أولاد الحاج تتكون من الألقاب التالية: محمودي، بلقاسمي، مسعودي، حفيظي، شرقي، علوي، زريبي(بن دحمان،2013،ص14.)

حسب الروايات أن درنون هم عائلة من الأشراف ويقصد بهم أحفاد سيدي حسن البهلول الكوفي ولي صالح بزريبة الوادي وزع أفرادها على ثلاثة أعراش وتبقى الروايات متضاربة بين الإخباريين فهناك من يرى أن أول عرش هم أولاد بوجمعة من نسل سيدي سرور يتفرع من قبيلة دريد وهي تتفرع من قبيلة الأثبج الهلالية ثم انضم إليهم

أولاد محمد وهم من أول من استوطنوا في زريبة الوادي في حين هناك من يرى أن سيدي سرور من عرب العراق وليسوا هلاليين ورأي آخر يرى أن الشرفة هم الأصل والباقي تجمعات وفقط، الدقة وحرص الإخباريون وحفظهم للألقاب تعتبر من الميزات الخاصة بهم ولا نجد المتأخرين لهم هذا الحرص بفعل التغير الذي نعيشه الآن فحفظ الألقاب والتقسيمات التي تتسم بها التركيبة الاجتماعية له دور كبير في حياة الأشخاص ومعاملاتهم سابقا يكفي أنك تصم عرشا بوصم سيء حتى تدني مرتبته الاجتماعية والعكس كذلك أنك تنسب الشرف لعرش ما حتى يكتسب رأسمال اجتماعي مثل الشرفة مثلا، ويصبح هو من يقرر ويحكم بين البقية .

فالتركيبة الاجتماعية للعروش لا تختلف من عرش الى عرش في نفس المنطقة ولا من عروش إلى عروش أخرى وتتفق الدراسات التاريخية مع وجهات نظر وأراء الإخباريين حول أن عرب الزريبة قادمون من أماكن عديدة سواء من القطر الجزائري أو خارجه من المشرق أو المغرب ولا يوجد إجماع على أصولهم الإثنية إلا أنهم ينتسبون الى بنو هلال القبائل العربية التي وفدت في العهد الفاطمي أو إلى عرب العراق أو إلى عرب الفتوحات أستخدمهم الأمويين آنذاك فالإجماع على عروبتهم هو الظاهر من حديثهم وفكرة الانتساب غير يقينية عند المبحوثين بحكم جهلهم بالأصول من جهة وعدم الاهتمام بها من جهة أخرى كما أن الاستعمار له اليد في تغيير التركيبة الاجتماعية فبعض العروش انضمت الى العروش خوفا وهربا من بطش الاستعمار لذلك نجد دخلاء على العرش ويستطيع كبار السن تمييزهم ورواية بعض القصص حول أصولهم الأولى أو كيف استوطنوا ويتم تمييزهم بواسطة ألقابهم فكما وضحنا سابقا فان لقب درنون هم أشراف تم توزيعهم على أربعة عروش (بادي،2020، ص11).

عرب الزريبة عامة لهم علاقات طيبة وجيرة حسنة مع بقية العروش المحيطة بهم يحدهم عرش أولاد عمر وأولاد بوحديجة وأهل ملكم وسراحنة وعرش الخضران ومع ذلك تحفظ الذاكرة الشعبية قصة مئة ملكمي وكلب وهي قصة حول الصراع من أجل الأرض قامت بين عرب الزريبة وعرش أهل ملكم ولا توجد نزاعات مع العروش مؤخرا.

رابعا: تاريخ القبائل في المنطقة بعيون الرحالة والمؤرخين

إن استمرار وجود الصورة البيانية او الشكل المورفولوجي للقبيلة يجعلنا أمام بعض المصاعب لفهم البناء الاجتماعي وأنساقه، فالأمة، والقبيلة، والعشيرة، يمكن أن تستمر في البناء بوصفها ترتيبا للأشخاص على الرغم من كل ما يطرأ عليها، وهذا ما دفع رادكليف براون بتشبيه استمرار البناء الاجتماعي باستمرار الجسم البشري على الرغم من تغير جزيئاته باستمرار، خلاف الوظيفي الآخر ايفانز برتيشارد الذي يرى أن البناء الاجتماعي يتألف من العلاقات التي تقوم بين جماعات من الأشخاص ضمن نسق متكامل يضم هذه الجماعات كلها، وهو يقول صراحة إن البناء الاجتماعي هو علاقة بين جماعات وليس بين أفراد والمقصود بالجماعة عند بريتشارد هم الأشخاص

الذين يعدون أنفسهم وحدة متمايزة من غيرها من الوحدات، وينظر إليهم أعضاء الوحدات الأخرى بهذه النظرة نفسها، كما تقوم بينهم جميعا التزامات متبادلة بفضل عضويتهم في تلك الوحدة، وبهذا المعنى يعد العرش أو القبيلة صورة من صور الجماعات، لأنها تستمر في الوجود أجيال كثيرة على الرغم من بعض التغيرات فيها، مثل موت الكثير من أعضائها، أو حتى زوال أجيال بأكملها فإنها تظل تحتفظ بكيانها وملامحها الأصلية، وتفرعاتها، وصلة هذه الفروع بالأقسام تعكس دائما النمط نفسه من العلاقات الاجتماعية (بريتشارد، 1960، ص24).

كان مغاربة الجنوب سكان سوس ومراكش إذا استعدوا للحج فضلوا عبور الصحراء على الطلوع للشمال وإتباع طريق التل وكان طريقهم المعتاد فقيق بوسمغون الغسول عين ماضي تاجموت الأغواط برج الغيران سيدي خالد بسكرة سيدي عقبة زريبة الوادي حيث ينزل الركب المغاربي عند قطب الأقطاب وعلامة الصحراء والزاب سيدي حسن البهلول الشريفي الحسيني (سعد الله، 1996، ص82) وتحمل هذا الاسم بسبب تلك الزريبة أي الكوخ الذي بناه أو صنعه الصيادون بأغصان شجر الطرفاء (نوع من الأشجار على ضفاف الوديان) التي كانت موجودة بجانب وادي العرب حيث جعلها الصيادون مكانا لمبيتهم أثناء وجودهم في أوقات صيد طائر القطاء، ودجاج الماء، ومن ثم أطلق عليها اسم زريبة الوادي أسست منذ 13 قرنا على الحافة الغربية من واد سمي باسم (وادي العرب) .

تحتوي زريبة وادي الأثرية على بناءات قديمة كانت تحتضن أربعة أحياء مشهورة حي الشّطر، حي زقاق الحمران، حي صبرة، حي باب السور وأهلها في هذه الأحياء العتيقة يكسبون رزقهم من مصادر مختلفة ومتنوعة منها حرث الأراضي الخصبة وزراعتها بالحبوب في وطني (ريان والغنامية) وغرس غابات النخيل والأشجار المثمرة والاستعانة بالفلاحة الموسمية على حافتي وادي قشطان ووادي العرب تذكر بعض المصادر الفرنسية أنها كانت عامرة في القرن 14م وفي بداية القرن 17م نزل بها سكان قرية سيدي سرور (كدية سرور) بعد أن أصبحت ساقية (الفراسنية) لا تسقي مزارعهم بسبب انخفاض مجرى مياه الساقية ومن بين الآثار المكتشفة بالزريبة تم العثور على قنوات للرّي عند السفوح الجنوبية لزريبة الوادي التي تعود لحضارات أسبق كما عثر أحد الفلاحين بأرضه على فسقية (هي حوض ماء يستخدم لسقاية الزروع، يكون عادة على شكل دائري لتخزين المياه) مبنية بالآجر الأحمر الروماني بمنطقة لحميدة (أم عمر).

عند التقاء واد قشطان مع وادي العرب يكونان واد الزريبة الذي ينحدر نحو الفيض –وفي السابق– استغلت أراضيها من طرف البربر للرعي وبعد الاحتلال الروماني أصبحت منطقة للزراعة وفي القرن 5هـ/11م حلّ بها عرب بني هلال، من بينهم عرش أولاد أمحمد النهود الهلاليين حيث استوطن هذا العرش زاب النهود بين منطقتي أولاد نابت والسراحنة بمحاذاة وادي العرب وبعد الاستقلال نزح إليها عرب السراحنة من الدرمون ولعليب

وبعض الشاوية مثل أولاد عمران تحدث الشيخ العدواني عن سكان الزرائب فيقول:" إن أهل القصر والزريبة الكبرى والزريبة الصغرى فهم حلفاء بني أمية تركوهم للحراثة وصناعة الأشجار" ويقصد العدواني بالصغرى بلدة زريبة حامد القريبة منها.

أرسل الملك عبد الملك بن مروان الأموي في أواخر القرن السابع الميلادي جيشاً كبيرا بقيادة حسان بن النعمان، الذي استولى على كثير من الحصون والمعاقل البيزنطية، وفي سنة 695 ميلادية أسقط مدينة قرطاج وضمها إلى الإمبراطورية الإسلامية الأموية لتبدأ بذلك حقبة جديدة وبعد عرب الفتح جاءت العديد من البطون العربية بفرعيها القحطانية واليمانية، كذلك استقر الكثير من الأشراف الفارين من بطش الحكام في المشرق، ونزح العديد من زعماء الخوارج والشيعة وإتباعهم بمختلف مذاهبهم، وفي القرن الخامس الهجري دخلت القبائل القيسية العدنانية (ضمت قبائل هوازنية: بنو هلال وبني سليم وشجم وسلول ودهمان والمنتفق وربيعة وخفاجة وسعد وكعب وسواءة وكلاب، وقبائل قيسية: فزارة واشجع وعبس وعدوان وفهم، وقبائل مضرية: هذيل و قريش وتميم وعنزة، وحتى قحطانية: كجذام وكندة ومذحج...). الأمر الذي غير تركيبة شمال افريقيا اثنيا وثقافيا بشكل جذري(مقنع،2015).

في رحلته اعتبر ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان المولود في 1488م والمتوفي1554 أن بسكرة وإقليم الزاب تابع لتونس(الوزان،1983،ص183-141) وهو ما يفسر ذلك التشابه الموجود في المنطقة الثقافية كما يراها كلارك ويسلر فالنشاط البشري واحدا مُتجانسا في العادات والتقاليد والقيم، ثقافتها موحدة وترتبط بمجموعة إثنية لغوية وحدودها الثقافية غير مقتصرة جغرافيًا عند حدود الدولة القومية الحالية الموضوعة بناء على خلفيات سياسية أو اقتصادية جديدة، بل تعدى نفوذها الثقافي حدود المنطقة الثقافية نراه في الدين والفلكلور، وفي اللباس والبناء المعماري وهذا ما نلمسه في رحلة الحسن ابن الوزان.

يقول ابن خلدون: "وأما دريد فكانوا أعز الأثبج وأعلاهم كعباً بما كانت الرئاسة على الأثبج كلهم عند دخولهم إلى إفريقية لحسن بن سرحان بن وبرة أحد بطونهم وكانت مواطنهم ما بين العناب إلى قسنطينة إلى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التي هلك فيها حسن بن سرحان كما ذكرناه وقبره هنالك وكانوا بطوناً كثيرة منهم: أولاد عطية بن دريد وأولاد سرور بن دريد وأولاد جار الله من ولد عبد الله بن دريد وتوبة من ولد عبد الله أيضا وهو توبة بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبد الله وكانت لهم بين هلال رياسة كبيرة ومدحهم شعراؤهم بشعر كثير فمن ذلك قول بعض شعرائهم :

دريد ذات سراة البد وللجود موقع– كما كل أرض منقع الماء خيارها

تحن إلى أوطان مرة ناقتي — لكن معها جملة دريد كان موارها

وهم عربوا الأعراب حتى تعربت — بنوف المعالي ما ينفي قصارها

وتركوا طريق النار برهة — وقد كان ما تقوى المطايا حجارها (ابن خلدون،2000، ص32)

وسيدي سرور هذا هو الذي لا يزال أحفاده إلى اليوم ببلدة زريبة الوادي ويرى أحد الإخباريين أن من بينهم الأسر التي تحمل ألقاب بن ناجي، برمضان، بسكري، تلي وهم أولاد بوجمعة وهوام من أولاد ساسي ويضيف الله وأعلم.

الشكل رقم (02): فروع قبيلة الأثبج عند ابن خلدون

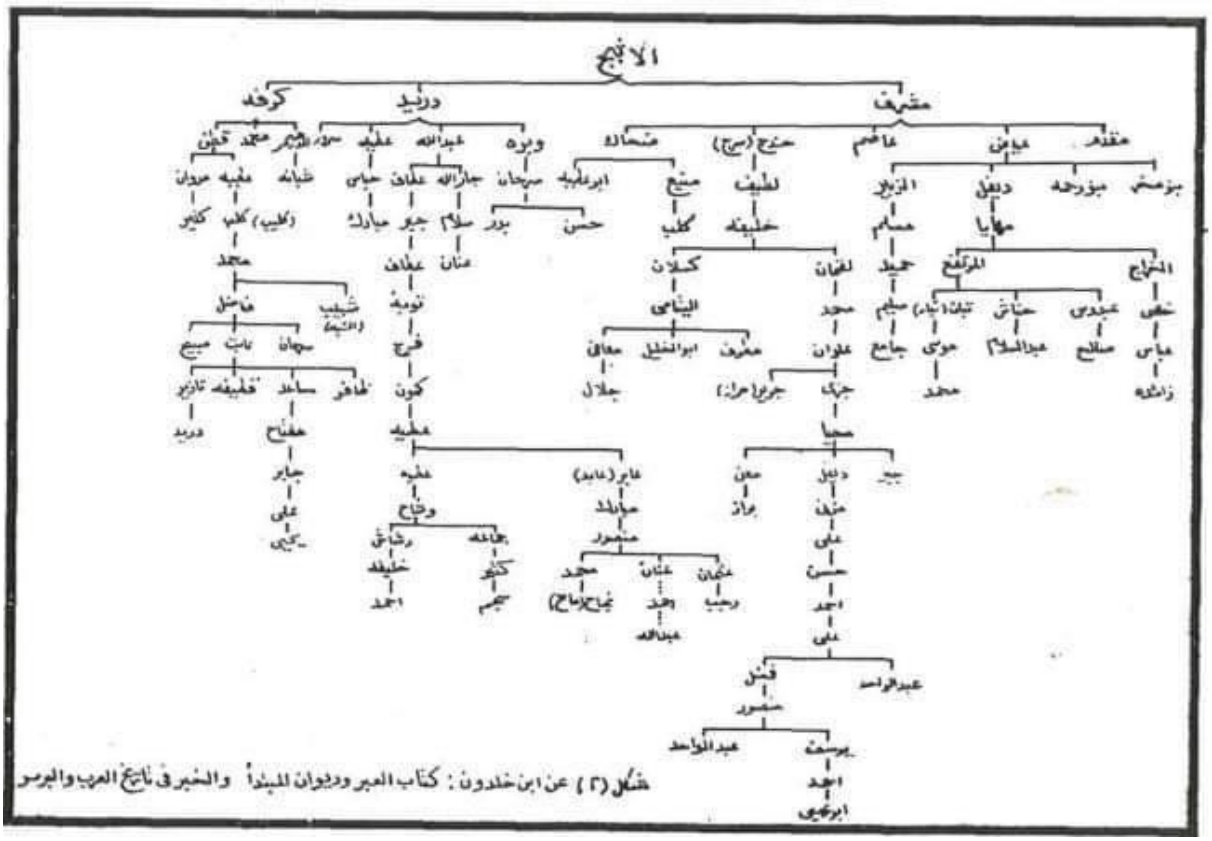

المصدر: (مدونة مشروع بني هلال الجيني، 2023)

يذكر العياشي زريبة الوادي عند العودة من الحج في كتابه الرحلة العياشية 1661-1663 وقاما كلا من الأساتذة الفاضلي والقرشي بتحقيقه يصف الظروف القاسية والوباء الذي ألم بالمنطقة وأهلها يشكون ظلم الأتراك من جهة وظلم الأعراب من جهة أخرى فقويت شوكة أولاد صولة وأولاد النصر وكان الناس يخافون ويخوفون منهم وهم قبائل كانت مناوئة لحكم الأتراك كما نجدها في كتابات العنتري كذلك وهي نفس المدة او الفترة التي عاصرها العياشي تقريبا (العياشي،2006، ص537-542) ويصور الرحلة كذلك في كتابه الموسوم بماء الموائد.

أما الشيخ أحمد بن ناصر والمعروف بالناصري في كتابه الموسوم بالرحلة الناصرية 1709-1710 والذي حققه ملوكي عبد الحفيظ يذكر كلمة الزرائب مباشرة ويقصد بها زريبة الوادي وزريبة حامد تكلم عنها ووصفها إنها منطقة مأهولة وممر أمن للحجاج آنذاك و أشار إلى مؤسسها الحسن البهلول الكوفي وعدد كراماته الكثيرة مثل جعل وادي العرب يجري ومنها أنه طار وجاء بنسبه من العراق وجاء بمخطوطة تثبت نسبه وتلك التي اعتمدناها كجزء في دراستنا الذي جاء بعنوان مؤسس زريبة الوادي في هذا الفصل فقضية أو فكرة النسب والانتماء كانت ولازالت تشغل الناس فالانتساب للسلالة الشريفة آنذاك كان له أهدافا سياسية خاصة يمنح أصحابها مكانة اجتماعية ولم يغادرها نقصد الناصري حتى اشترى الحجاج الكثير من الإبل وهو اشترى خمسة وثلاثين فكانت مركزا مهما كسوق أو محطة أو منطقة عبور مهمة (الناصري،2009،ص138-159).

حين حل الشيخ الورتيلاني بزاوية سيدي أحمد الهجرسي بزريبة الوادي استقبل بحفاوة سنة 1765 م وذكر سوقها الأسبوعي الذي كان يقام كل يوم إثنين أشار الشيخ الحسين الورتيلاني في كتابه الموسوم بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار لزريبة الوادي وزريبة حامد بالزرائب في رحلته إلى الحج ولم يكن حالها أفضل من عصر العياشي من الفوضى السياسية أن صح القول فهي كانت آمنة ومأهولة وطريق للحجاج وبها سوق كبير يباع ويشري فيه الإبل ولكن الإغارات والسلب والنهب الذي كانت تقوم به القبائل الغير خاضعة للأتراك ولا إلى حاكم تونس كانت تميز ذلك العصر والخراب طال العمران، وتسبب في ابتعاد الناس عن طلب العلم (أبو شنب، 1908، ص105-117).

يرى الرحالة العدواني الذي عاش في القرن السابع عشر 1792 -1722 م أن الساكنين بين قسنطينة والبحر أكثرهم حلفاء قريش اتخذوهم لرعاية الغنم والبقر لأن أصلهم من فارس والقبط وأما أهل جبل أهل المغرب مثل جبل أحمر خدو وأوراس إلى جبل الملح (مدينة لوطاية الآن) كلهم فهم من لخم ولكن تزوجوا بنساء فارس ونساء آل العجم والعرب لما قدمت من المشرق بعضهم تركوا نساءهم هنالك وبعضهم جاؤوا صغارا وكلما أسلم اليهود والقبط والنصارى صاروا حلفاء لقريش وخاصة لبني هاشم لفضلهم وحسن خلقهم وأما أهل الظعن فهم من حمير وقصور الصحراء فهم يهود بني عبد الدار ويعتقد أن أهل القصر والزريبة الكبرى والزريبة الصغرى هم حلفاء بني أمية تركوهم للحراثة وصناعة الأشجار وأهل بادس وتهودة وطولقة وبن طيوس على حالهم نصارى وأما بوادي الزاب فهم موالي بني امية(سعدالله،1996،ص81-82).

خامسا: سكان المنطقة عبر التاريخ

فالأمة، والقبيلة، والعشيرة، يمكن أن تستمر في البناء بوصفها ترتيبا للأشخاص على الرغم من كل ما يطرأ عليها، وهذا ما جعل بعض العلماء و–خصوصا– البنائيين الوظيفيين أمثال رادكليف براون يشبهون استمرار البناء الاجتماعي باستمرار الجسم البشري على الرغم من تغير جزيئاته باستمرار، وهناك من يختلف عنه في تعريف البناء الاجتماعي، مثل ايفانز برتيشارد الذي يرى أن البناء الاجتماعي يتألف من العلاقات التي تقوم بين جماعات من الأشخاص ضمن نسق متكامل يضم هذه الجماعات كلها، وهو يقول صراحة إن البناء الاجتماعي هو علاقة بين جماعات وليس بين أفراد والمقصود بالجماعة عند بريتشارد هم الأشخاص الذين يعدون أنفسهم وحدة متمايزة من غيرها من الوحدات، وينظر إليهم أعضاء الوحدات الأخرى بهذه النظرة نفسها، كما تقوم بينهم جميعا التزامات متبادلة بفضل عضويتهم في تلك الوحدة، وبهذا المعنى تعد القبيلة، أو العروش جماعات، لأنها تستمر في الوجود أجيال كثيرة على الرغم من بعض التغيرات فيها، مثل موت الكثير من أعضائها، أو حتى زوال أجيال بأكملها فإنها تظل تحتفظ بكيانها وملامحها الأصلية، وتفرعاتها، إلا أنها تعكس دائما النمط نفسه من العلاقات الاجتماعية.

أصل التسمية زريبة جمعها زرائب ومن معاني هذه الكلمة أنها تطلق على مكمن الأسد أو مخبأ الصياد ومن المعنى الأخير أخذت التسمية لأن النشاط الاقتصادي الذي مارسه أهل المنطقة آنذاك تمثل في الصيد فقاموا ببناء على ضفاف وادي العرب زرائب وهي عرائش من فروع أشجار الطرفاء ليختبئوا فيها ويسهل عليهم صيد الغزلان والطيور التي تأتي لترد الماء الباقية في البرك (بادي،2020،ص9) في القرن الحادي عشر كان يسكن عرشان هما عرش أولاد محمد وعرش أولاد بوجمعة وكان أصلهما عرشا واحدا كان يسمى عرش أولاد المامن وهم بطن من بني هلال كانوا رحلا يجولون في منطقة الزاب الشرقي متنقلين في أرجائها طلبا للمرعى ثم يعودون الى الربوة بين حين وآخر وبقوا مدة على هذه الحال إلى أن بدءوا يألفون حياة الاستقرار فبدأ يقل ترحالهم وبدأت تستبدل تلك الخيام بمنازل متواضعة بنيت فوق الربوة وكان بناؤها بالطوب النيء المتبن (طوب مصنوع من الطين المخلوط بالتبن) وبدءوا يمارسون زراعة الحبوب والقمح والشعير بجانب الرعي وهكذا بالتدريج نشأة دشرة سيدي سرور (الدشرة الأولى) فشكلوا النواة الأولى لسكان زريبة الوادي ثم نشأ عرش أولا الحاج فحسب روايات الإخباريين أن أصلهم من برج بوعريريج حيث مرت مجموعة منهم بدشرة سيدي سرور وكانوا عائدين من الغزو وفيهم جريح مصاب بجروح خطيرة وقد أتعبته طريق العودة فلم يستطع التحمل فاتفقوا مع أهل الدشرة على أن يتركوه عندهم حتى يشفى لكي يعودوا لأخذه في السنة القادمة إذا بقي على قيد الحياة طبعا، وعلى هذا تركوه وعادوا إلى ديارهم، عولج الجريح وشفي وكان اسمه الحاج بن مبارك ومرت سنوات ولم يعد إليه قومه فبقي مع أهل الدشرة وعاش معهم وزوجوه امرأة من أولاد بوجمعة وبعد سنوات أرسل الحاج بن مبارك إلى أهله في برج بوعريريج فأتوا إلى أخذه فحمل زوجته

وانطلق عائد معهم إلى دياره الأولى، ولم يكد يقطع معهم مسافة قليلة حتى انثنى راجعا إلى دشرة سيدي سرورا فلما سؤل عن سبب عودته أجاب أن أهله من اعتنوا به وعالجوه وأكرموه وزوجوه وليس من تركوه وأهملوه ولم يسألوا عنه. وهكذا عاش مع سكان سيدي سرور وهو الجد الأكبر الذي ينتسب إليه عرش أولاد الحاج (بن دحمان، 2013، ص10-12) ولما كان الصيد من ضمن النشاطات التي مارسها هؤلاء القوم في تلك المدة فقد كانوا يبنون على ضفاف وادي عرب زرائب وهي عرائش من فروع أشجار الطرفاء ليكمنوا فيها ويسهل عليهم صيد الحيوانات كالطيور والغزلان ولظروف أمنية وتوسعية وزيادة في القرب من مصادر المياه انتقلوا إلى ربوة أخرى تقع على ضفة الوادي مباشرة هذه الربوة أعلى ب 10 أمتار أو أكثر وأوسع من سابقتها قريبة من الزرائب التي كانوا اتخذوها للصيف واستوطنوا هذا المكان الجديد ومن ثمة أطلقوا عليها اسم زريبة الوادي ومازالت كدية سيدي سرورا إلى حد الآن وبها أثار لمنازل قديمة تدل على أنها كانت آهلة بالسكان (بن دحمان، 2013، ص10-12).

الشكل رقم (03): صورة لوادي العرب 1892م

المصدر: صورة من الأرشيف جوجل

سادسا: مؤسس زريبة الوادي

القرابة هي مصطلح له معانٍ عدة تعتمد على السياق يشير عادة إلى درجة الصلة الوراثية أو معامل العلاقة بين أفراد النوع الواحد، قد تشير القرابة إلى التشابه أو المصاهرة بين الكيانات على أساس بعض سماتها الأساسية قد يكون هذا بسبب أصل وجودي مشترك، أي ارتباط تاريخي أو ثقافي أو سمات أخرى مشتركة تربط الجماعات فالبناء القرابي في أي مجتمع يتكون من عدد من العلاقات الثنائية كالعلاقة بين الأب والابن، أو بين الخال وابن الأخت، أو بين أفراد العائلة الواحدة، أو بين أبناء العرش وهكذا، البناء الاجتماعي يقوم على شبكة من مثل هذه العلاقات الثنائية التي تنشأ عن طريق روابط النسب والمصاهرة، التمايز القائم بين الأفراد والطبقات بحسب أدوارهم الاجتماعية .

إن الوثيقة التي تثبت نسب مؤسس زريبة الوادي الحسن الكوفي المعروف بسيدي حسن البهلول منقولة من عدول البصرة بخط السيد أحمد بن المبارك الصائغي مؤرخة عام ألف وسبعة وعشرين هجرية والشهود على ذلك هم: سي بلقاسم بن عثمان اليحمدي وسي محمد السياح بن سيدي خلف الله الأيوبي ويعتبر الشيخ الحسن بن أحمد البصري أول من خرج من البصرة ووصفه عدولها بأنه مربوع القامة شهل العينين، كثير الشعر في وجهه وبيده علامة، أبيض البشرة، وهم نحو ثلاثة عشر شاهدا ومنهم: سيدي حبيب بن محمد العجمي، السيد عبد الرحمن بن محمد البلخ، السيد محمد بن علي البصري والسيد محمد بن واسع... مؤرخة تلك الشهادة 810 هجري حسن البهلول بن احمد بن احمد بن محمد بن مبارك بن عبد المعطي بن محمد بن سلامة بن عبد الكريم بن حسن بن علي بن محمد بن موسى الكاضم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي – كرم الله وجهه– وفاطمة الزهراء –رضي الله عنها– بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–... ولقد خرج من البصرة بأربعين شاهدا عدلا من العلماء الأجلاء، دخل الجزائر من الساقية الحمراء حيث أسس بسكرة حاليا بتجمع الأعراب حوله وكانت له عقارات وملاك وأطيان هي هبات للزاوية الشريفة ولكن حادثة أثارت غضبه حيث نعت رجلا احد أبنائه بالهامل فاغتاظ وتدرج شرقا يقيم ويسافر الى أن أستقر به الحال على الضفة الشرقية لواد العرب حاليا وقد كانت بلقعا رعوية (مكان خال للرعي) أي مشتى للرعاع وأصحاب القطعان الذين ينصبون الزرائب وهي أكواخ ومراحا للأغنام.

فاستأنسوا للشيخ لما رؤوا فيه من جميل الخصال وورع أهل التقوى، فكان سيدي حسن هو أو من أسس ما يعرف اليوم بزيبة الوادي والتي يرجع أصل سكانها قبل وفودهم الى ريان مكان إقامة سيدي حسن البهلول ويرجع الى مناطق عدة منها من عين البيضاء بأم البواقي، ومنها من اقبل من واد سوف ومنهم من جاء من تهودة ومنهم

من قدم من الشابية بتونس فهم أجناس مختلفة مزيج إثني جمع بينهم الولي المذكور وكون بهم مدينة سميت بعده بزريبة الوادي وسكن ابنه احمد الطيار بادس شرق ريان، وارتحل سيدي فتح الله الى جبال الاوراس متعبدا زاهدا من خلوة الى خلوة وتزوج هناك من أربعة نساء أنجبت كل واحدة له ولدا وهم محمد وأمه حورية، ومحمد لوصيف وأمه بدرة بنت القرفي، واحمد وأمه فائزة، ولحمادي وإبراهيم من فاطمة فكونوا ما يعرفون بأولاد بدرة لبعل سيدي علي وتامدينت وأولاد سيدي فتح الله ولحوارة واولاد احمد بقايس وفايس وقد دفن كل أبناء سيدي فتح الله بلبعل تحقيقا يعد لبعل عاصمة النسل الشريف بلا فخر فبها دفن كل أبناء السلالة الشريفة من أبناء سيدي فتح الله وبها أول زاوية أقامها عبد الله بن محمد لوصيف بن سيدي فتح الله وبنى بها مسجدا وهو أول الزوايا بالأوراس على الإطلاق بتاريخ شاهد منقوش على جدرانها الصخرية سنة 1533للميلاد وقد تخرج منها علماء وحفظة ودرس بها الكثير من العلماء الازهريين وكانت مركز إشعاع حضاري ومحكمة للمتخاصمين ودار إفتاء ومزارة صلح (اولادعطية،2020).

سابعا: الأرض والعرش

نريد أن نتعرف على القبيلة أو العرش كبنية اجتماعية لا كنظام اجتماعي كما رأينا يقول جاك بيرك: القبيلة لا تنمو فقط بالاندماج بل بالتجميع رغم اتساع استخدام مفهوم القبيلة إلا أنه لا يحظى بالاتفاق على الدلالة والمعنى نفسه، وذلك راجع إلى اختلاف اتجاهات المفكرين والباحثين الذين قاموا بتعريف هذا المفهوم على حسب اتجاهاتهم ونظرياتهم الخاصة.

وبما أن للعرب تراثا قبلي غني، فقد أفرد اللغويون والباحثون لمصطلح (القبيلة) مؤلفات وأبواب، يقول ابن منظور في "لسان العرب" أن ابن كلبي يرى أن الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، واشتق الزجاج القبائل من قبائل الشجرة أي أغصانها ويقال قبائل من الطير اي أصناف وكل صنف منها قبيلة والقبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من نحو واحد وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة وهكذا فالتعريف يقوم على التصنيف وفكرة التجمع والتدرج كما أن هذا التجمع يقوم على النسب المشترك للمجموعة، ويقوم التعريف عادة على اعتقاد المجموعات القبلية في انتمائها إلى جد أعلى مشترك، يميزها من مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها.

إن ما تقدم ذكره من تعريف لمفهوم القبيلة ليس إلا تعريف بسيطا اما على مستوى التعريف السوسيولوجي فنجد أن مفهوم القبيلة في علم الاجتماع "هي نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والعشائر، وتقطن القبيلة عادة اقليما معينا ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند الى مجموعة من العواطف الأولية، فمعنى القبيلة حسب ترتيب علماء الأنساب لقبائل العرب، أن بنيات القبيلة وركائزها هي أكبر وحدة قرابية في المجتمع العربي، تقوم على انتساب عدد من العشائر إلى سلف واحد مشترك هو الجد الأعلى، وغالبا ما يكون

افتراضيا وتنسب حوله الأساطير، وهذا الاعتراف بالانتماء إلى سلف واحد يجعل العشائر تحافظ على ولاء أسمى للقبيلة حتى ولو أنها تتمتع باستقلال نسبي في أمورها الحياتية وقراراتها.

حسب مورغن توفر القبيلة إطارا لهوية مشتركة ترتب حقوقا والتزامات على الأفراد المشتركين فيها رغم أن جاك بيرك ينتقد هذا التعريف بقوله: "أن القبيلة لا تنمو فقط عن طريق الاندماج (أي علاقات النسب) بل كذلك عن طريق التجميع الذي يقع بسبب تنقلات الغزاة أو تيهان الهاربين، مثل حركات التوسع والانكماش التي يعرفها الاقتصاد الرعوي وتكاثر واختلاط المجموعات" ويعطي الأستاذ فيليب خوري وصفا دقيقا لبنيات القبيلة وركائزها عندما يصفها بأنها "نظام وهي الأصل في المجتمع البدوي، فكل خيمة تمثل أسرة والمعسكر المكون من عدة خيام يسمى حي، وأعضاء الحي الواحد يسمون قوما، ومجموعة الأقوام القريبة النسب يكونون قبيلة، يخضعون لرئيس واحد هو أسن أعضاء القوم، يتداعون إلى الحرب بصوت واحد، ويضيفون كلمة بني إلى الاسم الذي يجمعهم، ويتكلمون لغة واحدة وينتمون إلى أصل مشترك، كما يشتركون في ملكية منطقة من الأرض" (الفوال.2002.ص207).

ورغم أن هذا التعريف يسقط فقط على القبائل المترحلة التي لا تملك أرضا إلا أنه من خلال عناصر التعريف نستخلص أن القبيلة هي: مجتمع حقيقي واقعي يملك ويستغل أرضا أو قطعة من الطبيعة، يدعي ملكيتها بالغزو أو الوراثة، وأن القبيلة مستعدة للدفاع عن أرضها ولو بالقوة، وهذا ما يميزها عن مصطلح متشابه لها وهو الإثنية ETHNIE التي هي جماعة اجتماعية تشترك في اللغة والعادات والأصل، ويعيش أعضاؤها في مجتمعات متفرقة عكس القبيلة التي هي مجتمع حقيقي يشترك أفرادها في السيطرة على غطاء مكاني ويشتركون في استغلال خيراته "فالإثنية اقتسام مشترك للحقائق الثقافية دون امتلاك الأرض حيث تعطي الاثنية لأعضائها هوية ثقافية ولا تعطيهم أرضا ولا خبزا ولا امرأة، لكن القبيلة تمدك بها"(موريس غودلييه) استندت التعاريف السابقة إلى كبار اللغويين العرب كالجوهري في صحاحه الذي عرف القبيل بأنه "الكفيل والعريف" أما ابن منظور في لسان العرب فيصف القبيلة بقوله: "قبائل الرأس هي أطباقه وهي أربع قطع مشعوب بعضها إلى بعض...وبها سميت قبائل العرب والواحدة قبيلة وهي بنو أب واحد، وقبائل الرجل أحنّاؤه المشعوب بعضها إلى بعض وقبائل الشجرة أغصانها... والقبيلة صخرة تكون على رأس البئر، والقبيلة من ولد إسماعيل بمعنى الجماعة... والقبيل الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزنوج والروم والعرب وقد يكونون من نحو واحد."

الارض والعرش كنظام إقصائي:

كما أشرنا في الجزء السابق بأن القبيلة أو العرش هو مجتمع واقعي يملك أرضا يدعي وراثتها أو حصل عنها عن طريق الغزو، فنجد أن همه وشغله الشاغل الأول والأخير هو وضع آليات وقوانين يكون هدفها الحفاظ على الأرض التي أصبحت جزءا من هويته وثقافته ووجوده، ووقفنا في دراستنا على وجود نظام إقصائي ضمن بنية النظام المدروس ولا يسمح بل لا يعطي فرصة أصلا للأجنبي(الغريب او خارج الجماعة التي تتمثل في عرش العروش) العمل أو الاستفادة أو استغلال الأرض والانتقاع بها وكما رأينا أنه يقصي المرأة كونها هي من تجلب الغريب إلى العرش إلا أن هذا النظام يقصي الغريب من الملكية لا غير فيستطيع الغريب أو الأجنبي أن يستغل الأرض عن طريق الكراء أي أن الأجنبي يستطيع استغلال الأرض بطريقة أخرى وقد أشرنا أن هذا النظام قد لاحت بوادر زواله، فلذلك نجد بعض المستثمرين الأجانب عن المنطقة قاموا بالاستيلاء على أراضي العرش مثل بعض العائلات خارج العروش وقاموا بتمليك بعض الأراضي بالتواطؤ مع أحد رؤساء البلدية السابقين على رواية أحد الإخباريين، وهناك من استفادوا عن طريق الدولة من استثمارات أسسوها على أراضي العرش بعد موافقتهم على أساس أن الاستثمار وإنشاء مطاحن مثل مطاحن البركة يقوم بالقضاء على البطالة وتوظيف شباب المنطقة ويساعد على تنمية المنطقة، وبالرغم من ذلك هناك استهجان من بعض من قابلتهم ويتهمون صاحب الإستثمار بان له نوايا للإستيلاء على أراضي العرش وليس من حقه أن يستثمر فيها ولا أحد يحق له أن يستثمر فيها خارج العروش بل يجب القيام بأمور تجعله يتوقف ويكتفي بما منحته العروش من أراضي، ويجدر بالذكر أيضا أن أحد المستثمرين الكبار ثم توقيف إستثماره وتوقيف العديد من المشاريع الفلاحية والامتيازات بحجة ان رئيس البلدية السابق متواطئ معهم وقائمة المستفيدين فيها محاباة وقام شباب عرب الزريبة وفلاحيهم بحرث اراضي الوطن كلها في رسالة الى المستثمرين وممثلي الدولة بأنهم لا زالو متمسكين بأراضي العرش وبنظام الاستغلال المعمول به .

خلاصة الفصل

لقد كانت فكرة العشيرة نقطة انطلاق الدراسات عن النسب الوحيد الخط ولقد طبّقت على كل مجموعة ذات زواج خارجي ينتسب أعضاؤها إلى أب مشترك بمقتضى نمط نسب حصري (في الخط الأبوي أو الخط الأمومي) سلم التطوريون خاصة هنري مورغان بأن هاته المجموعات أو السلالات كانت في الأصل أمومية الخط ثم انتقلت إلى الخط الأبوي بسبب تغيير في النمط التتابعي وأصبح استعمال كلمة "عشيرة" شائعا فيما بعد لتعريف المجموعات الوحيدة النسب هذه التي ضمها مؤلفون مثل تايلور وجيمس فريزر إلى الطوطمية والزواج الخارجي، واقترح ر.هـ. لووي الفرضيات التطورية (تقدم خط النسب الأمومي) بألا تعرف العشيرة من خلال علاقتها بالطوطمية بل من خلال تأليفها وحدة ذات زواج خارجي من جهة وحيازة أرض من جهة أخرى، يقوم الاستثمار الجماعي لمواردها وملكيتها المشتركة مقام أساس للتنظيم العشيري(بونت،ايزار،2011،ص651) ويقوم النمط القبلي على التقابل المعمّم بين الجماعات وعلى تراتبها السلالي والتناغم بين الفروع

المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية... الخ لا تندرج ضمن المؤسسات المختلفة وإنما تندرج في نظام القرابة أغلب الأحيان ولقد برهن غودلييه سنة 1973 كيف أن أزمة مفهوم القبيلة هي التي كشفت النقاب عن الأسس التجريبية لمسيرة الأنثروبولوجي وهو يتجاوز في نقده المسألة التي يثيرها في العالم المتوسطي القديم والحديث تنظيم المجتمعات التي تعبّر فيها القبيلة بلغة القرابة (السلالة) عن أمور تشريعية وسياسية قد تنم عن الكثير أو القليل من التراتبية ولكنها وثيقة الصلة بنظام ارتباط زواجي ومنتجة لأنظمة سياسية معقدة ومتنوعة (بونت،ايزار،2011،ص718)، إن موضوع الأرض والقبيلة، هي في الحقيقة شكل من أشكال الصراع عبر التاريخ، فالصراع حول الأرض بين القبائل المتجاورة، وصراع بين أفراد القبيلة الواحدة حول الحدود، وكل طرف يقدم حججه حول أحقيته في الأرض، ويحاول بكل الوسائل إثبات ملكيتها، رغم إدراك الجميع بنسبية اعتقاداتهم، فلا مالك مطلق للأرض، ولا يمكن لفرد أو قبيلة ادعاء ملكيته لأرض بالمطلق، والتاريخ يخبرنا بتعاقب الدول والقبائل والشعوب على أراضي هي الان مِلك لأمم جديدة، فالهجرة والحروب والاستيطان البشري كلها عوامل ساهمت في تناقل ملكية الأرض بين الشعوب، وبالتالي فشكل الأرض باقي هو اما التركيبة الاجتماعية للقبيلة او العرش او الاثنية يخضع تشكلها للأرض ولو بطريقة غير مباشرة، وأتفق هنا مع أحد الباحثين في المجال في نقاش معه حول التركيبة الاجتماعية للعروش بالجزائر والمغرب العربي (الكبير) أنها تركيبة عشائرية لا قبلية فالتنظيم القبلي في المشرق يختلف عن المغرب وهو ما لمسناه في هذه الدراسة بصورة واضحة .

الفصل الثالث

قيمة أراضي العرش وتمثلاتها

عند عرب الزريبة

تمهيد

يرجع تسمية زريبة الوادي إلى وادي العرب والذي سمي بوادي العرب نسبة إلى القبائل العربية التي كانت تقطن على جانبيه، وللحديث عن قيمة الأرض يجب أن لا نمر مرور الكرام على وظيفتها الأساسية في النظام الاقتصادي ونتفق هنا مع ماركس في فكرته أن الاقتصاد هو محرك التاريخ، والصراع من أجل امتلاك وسائل الإنتاج هو سبب التغير الاجتماعي، والأرض رأس مال ثابت يستخدم في عملية الإنتاج، ويوفر الأساس لكل الأنشطة الاقتصادية ويعمل كمصدر لخلق القيمة ويمتلك القدرة على توليد الدخل، فالأراضي الزراعية هي أساس الأنشطة الزراعية وإنتاج المحاصيل والماشية التي تغذي السكان وتساهم في الإمدادات الغذائية الشاملة، كما توفر الأراضي التجارية مساحة للشركات للعمل، وتوليد الإيرادات وفرص العمل، مما يجعل هذه العوامل اعتبارات حاسمة للإنسان وهذا يدفعنا الى طرح العديد من الأسئلة فما قيمة الأرض؟ وماذا نقصد بأراضي العرش؟ ومن أين جاءت التسمية؟ وما وضعيتها القانونية؟ وكيف يتم تحديدها؟ وإلى ماذا ترمز؟ ودور ومكانة المرأة فيها؟ ووجهات النظر التاريخية و الاتجاهات المستقبلية حولها، وفي الأخير في الخلاصة قمنا بإيضاح كيف يتشكل هذا النظام البارع.

أولا: الأرض كأصل ذو قيمة

اكتسبت الأرض أهمية التاريخية على مدار تاريخ البشرية، حيث كانت رمزاً للسلطة والثروة والمكانة الاجتماعية في الحضارات القديمة مثل بلاد ما بين النهرين ومصر وروما، تركزت ملكية الأراضي في أيدي النخبة، حيث كانت بمثابة المصدر الأساسي لثرواتهم ونفوذهم، حيث عززت الأنظمة الإقطاعية في أوروبا في العصور الوسطى على أهمية الأرض كمخزن للقيمة وكان الملوك يمنحون الأرض للنبلاء مقابل ولائهم وخدمتهم العسكرية، مما أدى إلى إنشاء هيكل هرمي استمر لعدة قرون وجلب عصر الاستكشاف والاستعمار بعداً جديداً للأرض كأصل ذي قيمة، سعت القوى الأوروبية إلى الاستحواذ على مناطق في الخارج، ليس فقط من أجل مواردها ولكن أيضاً من أجل الفوائد الاقتصادية المحتملة التي تقدمها، وأصبح الاستحواذ على مساحات شاسعة من الأراضي في الأمريكيتين وأفريقيا وآسيا وسيلة لتوسيع الإمبراطوريات وتأمين الهيمنة الاقتصادية (الأمين العام للجنة السكان والتنمية، 2001) .

إذا تم الاعتراف بالأرض منذ فترة طويلة باعتبارها أصل ذو قيمة مادية يمكن تقديره بمرور الوقت، وكثيراً ما يؤدي العرض المحدود، إلى جانب تزايد عدد السكان والتوسع الحضري، إلى زيادة في قيمتها، ويمكن ملاحظة ارتفاع قيمتها في سوق العقارات، المستثمرون ينظرون إلى الأرض باعتبارها استثمار آمن، يوفر وسيلة للحفاظ على ثرواتهم وهذا الفكر كمفهوم لم يغب عن الأجداد ولو بأسلوب أخر دفعهم إلى تبني نظام أو أنظمة اقتصادية مرتبطة بأنظمة اجتماعية بواسطتها يتم الحفاظ علي الأرض أو استغلالها، الأرض لا تقوم فقط على توليد الدخل أو تكمن قيمتها في سوق العقارات بل كذلك ما تحويه من موارد طبيعية ومواد خام للتصنيع وإنتاج للطاقة وحتى مشاريع البنية التحتية، مثل الطرق والسكك الحديدية والمطارات والموانئ والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، فالأرض على العموم تتيح حركة دائمة وفعالة للسلع والخدمات والإنسان فتنعكس هاته الحركة الفعالة على نمط معيشة هذا الأخير وتفاعله في الحياة، فخلق القيمة كما ذكرنا وذلك التفاعل وتلك الحركة يفرض، سواء الآن أو في السابق عملية أو نظام لحيازة الأراضي واستغلالها وتقسيمها لتتعقد تلك العملية بين تقسيم المناطق والحصول على التصاريح والموافقات اللازمة من طرف الدولة كهيئة تملك تلك الأراضي لاستغلالها أو من طرف تجمعات بشرية كالقبائل أو العروش تستغل بواسطة القوانين العرفية الأرض وتحوزها وتقوم بالانتفاع بها وفق نظم خاصة بها تخضع لمنطق نظامها الاجتماعي .

ثانيا: تعريف أراضي العرش

يتألف مصطلح أراضي العرش من كلمتان: أراضي – عرش ومنه فإن البحث في التعريف اللغوي يقتضي البحث في كل كلمة على حدي.

أولا: أرض جمعها أراضي أي طبقة التراب السطحية التي تتناولها آلات الحراثة. (المنجد،2000، ص18)

ثانيا: العرش لغة بمعنى كرسي عالي المستوى يجلس عليه الملك الحاكم بهدف ممارسة وظائفه احتفاليا كما يمكن اشتقاق كلمة العرش من فعل عرش بمعنى ثبت، فيقال عرش بالمكان عروشا وتعرش بمعنى ثبت فيه (ابن منظور،2004)

أما أراضي العرش يعرفها الأستاذ عمر حمدي باشا على أنها "هي ما كان لواضع اليد عليها حق الانتفاع بها، وللحكومة الإدارية ضبط كيفية ذلك الانتفاع وتعيين شروطه طبقا لعرف البلد، ويعود التصرف فيها لسكان القبيلة والعرش والدوار" وأطلق عليها الدكتور الجيلالي عجة التعريف التالي "هي ملكية جماعية مشتركة بين أفراد القبيلة الواحدة"(قشام،2015، ص3)

ثالثا: أراضي العرش واصل التسمية

هي عبارة عن أراضي ذات وجهة فلاحية تابعة للأملاك الوطنية الخاصة والبلديات، غالبيتها يحوزها أفراد عرش ما بشكل مشاع على سبيل الانتفاع الدائم الغير خاضع لأي تقنين، والجزء القليل يستغل في شكل منظم، سواء عن طريق الامتياز الفلاحي أو كمحيطات استصلاح، وتتركز في الهضاب العليا والمناطق السهبية وفي الوسط والشرق الجزائري، حيث يطلق عليها تسمية أراضي العرش ومن الناحية العرفية هي أراضي معينة تملكها عشيرة أو قبيلة ما، توارثتها شفويا وأحيانا كتابيا على شكل مخطوطات أو كامتيازات تحصلت عليها عبر فترات تاريخية. (حاجي،2018، ص296-327)

فحسب ما روى لنا كبار السن والإخباريين من أهالي المنطقة كما رأينا في الفصل الثاني أن الأوائل في بادئ الأمر حلو بربوة ترابية ترتفع على الأرض بنحو مترين تكفي لبناء مجموعة من المساكن المتواضعة لكونهم وجدوها المكان الأنسب للسكن حيث تحميهم من الفيضانات إذا تهاطلت الأمطار الغريزة، فالمنطقة كانت ذات أرض منبسطة يبلغ طول الربوة نحو 90 مترا وعرضها نحو 60 متر تسمى هذه الربوة كدية سيدي سرور وبها سميت الدشرة الأولى (دشرة سيدي سرور) تقع هذه الربوة قرب إحدى سواقي الغنيمة المسماة ساقية التبديلة وتسمى

أيضا ساقية سيدي سرور، تقع في الجهة الغربية لواد العرب وتبعد بنحو 3 كلم وهي محاذية للطريق الوطني رقم 83 فالموقع في حد ذاته يخلق للأرض قيمة مادية ورمزية.

وقبل الحديث عن قيمة أراضي العروش أولا علينا أن نفهم وضعيتها القانونية فنلاحظ أن المشرع الجزائري اكتفى بالاحتفاظ بالتسمية، ضمن قانون التوجيه العقاري ولم يتطرق إلى تعريف أراضي العرش، فبالرغم من أنه يطلق عليها في مناطق الغرب الجزائري تسمية أراضي سابقة، إلا أن المشرع الجزائري استعمل مصطلح " أراضي العرش"، ووحد التسمية على كامل التراب الوطني (حاجي،2015، ص7) كما شهدت أراضي العرش تطور تاريخي عبر الحقب التاريخية تمخض عنه شكلها الآن .

رابعا: أراضي العرش من الناحية القانونية

يتجه الباحثين الى فرضيتين رئيسيتين بخصوص نشأت أراضي العرش أولاها فرضية تعزو نشأة منظومة أراضي العرش الى العهد العثماني مفادها أن الحكام الأوائل للدولة العثمانية قاموا بتوزيع هذه الأراضي على القبائل أو العروش الموالين لهم (قبائل المخزن) لكسب تأييدهم أو التشجيع عليه فاستقروا عليها وتشكلت بذلك القوانين والأنظمة العرفية التي تضبطها والحكومة العثمانية ساهمت في وضع بعض جوانب نظامها القانوني لكن إذا كانت الحكومة العثمانية قد منحت الأراضي لقبائل بأسرها فما هو مستقر هذه القبائل قبل ذلك؟ فمن غير المعقول أن يقضوا طوال حياتهم في التنقل والترحال، خاصة وأنهم جماعات تمتعت واتخذت تكوينا اجتماعيا محكما فلابد أن عنصر الاستقرار متوفر قبل أن تبادر الدولة العثمانية إلى منحهم هذه الأراضي ليستقروا عليها حتى وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة تاريخيا، فالأمر ينطبق على بعض العروش فقط الموالية للحكومة العثمانية التي وسعت من دائرة أراضيها لتضمن تأييدها وتتجنب الثورة كذلك يجب الاعتراف بوجود بعض القبائل التي تعتمد في حياتها على تتبع المرعى الذي يضمن القوت لقطعانها ومازالت موجودة في الوقت الحالي وتعرف بقبائل البدو الرحل. (علال،2021).

والفرضية الثانية يتبناها القليل من الباحثين تعتبر الحكومة الفرنسية هي التي أنشأت نظام أراضي العرش فهو مصطلح مستحدث وغريب عن التنظيم العقاري المحلي، إذ لم يكن معروفا قبل الاحتلال، لأن أساس هذا التنظيم هو التملك الفردي، بموجب قانون فارني المؤرخ في 26/07/1873 كانت تجري تحقيقات عقارية جماعية استهدفت خاصة أراضي العرش وأراضي الأهالي والهدف لم يكن لأجل تطهير هذه العقارات وإعداد لها سندات ملكية من قبل المستعمر الفرنسي، وإنما قصد نزع طابعها الجماعي وجعلها ملكيات فردية ثم إدماجها فيما

يسمى LES DOMAINESأي الأملاك التابعة للدولة الفرنسية لتتمكن من التصرف فيها فيما بعد لمنحها للمعمرين الفرنسيين (مجلس الدولة،2022)، وفي كل الأحوال الإقامة المؤقتة للقبائل ببعض المناطق، لا تعني تملكهم لها حيث أن معيشتهم أصلا تعتمد على الحل والترحال، كما أن سلطة العرش نابعة من فعل الأعراف والعادات والتقاليد المتوارثة عن الأجداد وتقوم على احترام المكانة التقليدية التي ترتبط بالنسب والانتماء القرابي ويسمح لهذا الشكل من السلطة الاتساع ليشمل جميع القرى التي تنتسب إلى الوحدة الاجتماعية العرشية فالتنظيم التقليدي يكون من خلال قوانين اجتماعية تعمم على جميع العائلات مع الحرص على تطبيقها كما يرى ابن خلدون، لو افترضنا صحة هذا الطرح فكيف يمكن تفسير نظامها الذي يعتمد على الأعراف والعرف ليس من السهل تشكله فهو يستحق مدة طويلة ليصبح قاعدة تعتمد عليها الجماعة؟ (حاجي،2018، ص296-327) فهناك من يرى ان القوانين العرفية تتشكل بعد مئتي سنة.

نحن أمام فرضية تنسب إلى العهد العثماني وأخرى إلى فترة الاحتلال الفرنسي لكن الدراسات التاريخية توجهت إلى ربط نشأة أراضي العرش بتركيبة العروش الاجتماعية، فتشكل أراضي العرش واستقرارها وقيام نظام ينظم شؤونها وكيفية تقسيمها للانتفاع بها كان منذ عصور أسبق، ففكرة تشكل العرش واستقراره وفق قواعد عرفية ثابتة مستقلة تماما عن فكرة تواجد الدولة العثمانية أو الاستعمار الفرنسي، فالنشأة مرتبطة أساسا بالجانب الاجتماعي واستمرار البناء القبلي أو العشائري، فالأعراش تشكلت قبل دخول العثمانيين أرض الجزائر بل وقبل قيام الدولة العثمانية أصلا واستمر البناء القبلي والعشائري إلى حد الساعة، في دول شمال أفريقيا أو المغرب القديم عامة والجزائر خاصة (حاجي،2018،ص297).

خامسا: تحديد أراضي العرش بزريبة الوادي

تحدد أماكن أراضي العرش بأسماء ومعالم تميزها عن بعضها البعض ويطلقون عليها الأسماء التالية: الوطن الغربي (وهي أحسن منطقة زراعية لخصوبة أرضه) ثم التبديلة، الخرارة، لحرش، الغنامية، الأراضي الخصبة وزراعتها بالحبوب في وطني (ريان والغنامية) وغراسة غابات من النخيل والأشجار والاستعانة بالفلاحة الموسمية على حافتي وادي قشطان ووادي العرب، وقد نعتت هذه المزارع بأسماء متنوعة منها (الأبداع، الغار الأسود، ولجة النيلة، ولجة الجرارة، ولجة الجرعة، الأهواد، الأطلاع، البساتين، ولجة اطوال، ولجة بن جبل، ولجة بوعون وكلها أملاك للعرش موثقة رسميا كما يعتقد المبحوثين ولا يحق للدولة المساس بها لأنها ملكية خاصة للعروش، وفي نفس الوقت الملكية الجماعية ليست على كل أراضي زريبة الوادي، بل فقط بعض الأراضي الخصبة والأكثر خصوبة فالوطن الغربي كان يطلق عليها ارض القايد فقد أقطعتها دولة الاحتلال الفرنسي آنذاك لبن قانة القايد المتعاون مع

الاستعمار الفرنسي وكان يستفيد من خراجها فقط لان استغلالها في الأول والأخير كان من قبل أبناء العرش فقط، وكبار السن او كبار العروش (رؤساء القبائل) هم من يعرفون (الرسم) الحدود أي بداية ونهاية كل منطقة بعينها ويحافظون على طريقة تقسيمها ويفضون النزاعات التي قل وأن تحدث بسبب السقي، كذلك هناك عروش أخرى مثل أولاد نايل الغني ذكرهم عن التعريف الذين استوطنوا حديثا بزريبة الوادي مثل فرقة أولاد عيسى واشهر عائلة قدمت عدة شهداء في حرب التحرير الكبرى هي عائلة خضراوي ورغم ذلك لا تملك وليس لديها الحق من الاستفادة من أراضي العرش، بل تقوم بشراء الفرسان أو كراء الأرض من أجل الماشية ويبقى المنتسبين للعروش الثمانية الذين عرفناهم في الفصل الثاني لهم الأولوية في استغلال الأرض والانتفاع بها فكما يقول عدي الهواري (1983،ص18) "يكفي ان يكون المرء فردا في القبيلة حتى يكون من حقه التمتع بالأرض".

سادسا: رمزية أراضي العرش

منذ فجر التاريخ أدرك وعي الإنسان أن بقاءه مرهون بالغذاء، فمن غير الغذاء يتعرض للموت والهلاك، لذا احتل خصب الطبيعة حيزًا كبيرًا من معتقداته وطقوسه في عصور ما قبل التاريخ وما بعده، فكان الإنسان عالة على الطبيعة في العصر الحجري القديم ، معتمدًا عليها، يصطاد حيوانه ويجمع قوته، ، ويبذل جهده للسيطرة على مظاهرها، وكبح جماحها، واتقاء أخطارها؛ باسترضائها عن طريق الطقوس السحرية التي عرفها وفي أواخر الألف التاسع قبل الميلاد (بداية العصر الحجري الحديث)، عرف الإنسان الزراعة ودجن الحيوان، فاعتبر ذلك انقلابًا كبيرًا، وتغيرًا خطيرًا في المجتمعات البشرية، وبناها الاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقل الإنسان من مرحلة الصيد والتقاط الغذاء، إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وتربية المواشي، فضمن مصادر غذائه عن طريق إنتاجه، بدلاً من السعي من أجل جمعه، وكان الفضل في ذلك كله يعود إلى المرأة، مكتشفة الزراعة، وحافظة البذور، وراعية الأرض والحيوان (الديك2013، ص15-16).

عندما تعلم الإنسان الفلاحة والزراعة وجد في الأرض أما رؤوما كبرى، فهي التي تحمل روح الخصوبة وهي التي تطعمه، الزرع يخرج من بطنها كما يخرج الرضيع من بطن أمه، فالأم هي الحاملة والمولدة، تمنح الحياة وتنجبها أو تنتجها، وعملية إخصاب التربة هي نوع من الميلاد المتجدد للمحصول فذهب الإنسان الى عبادتها وتقديسها، واعتبرها قوة خالقة أنثوية، واختلفت أسماؤها باختلاف المهام التي تقوم بها، ففي بلاد ما بين النهرين كانت "تحت اسم "نينتو" كانت إلهة الولادة والمخاض، وكان اسمها "ماما" أو "مامي" هي التي كانت تقوم بفعل خلق الكائنات البشرية، واعتبرها الكنعانيون "عشيرة" زوجة "إيل" وأم الجميع، وفي آسيا الصغرى هي "سيبيل" أم "آتيس"

ولا زال الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يقدسون الأرض ويعبدونها على أنها الإلهة الأم لديهم في الوقت الحاضر" (نعمة،1994،ص36).

أطلق عليها الرومان الأوائل اسم "تلوس ماتر" (Tellus Matar) أي الإلهة الأم – إلهة الأرض (العربي،245،1995) والإغريق القدامى أطلقوا عليها اسم "غايا" (Gaia) أو "جايا" أي الأرض الأم التي انبثقت منها كل الأشياء، لأنها خلقت العالم، وأنجبت أول جنس من الآلهة، وولدت الجنس البشري" (الخوري ،1990،ص237) كما نراها في المنحوتات البارزة امرأة ترضع طفلاً مع أطفال آخرين ملتفين معها في نفس الثوب، مخرجين رؤوسهم من بين التلافيف حولها، والأجنة تحيط بها من كل صوب حيث ينص أحد النقوش القديمة إنها أم الأطفال كلهم، إذا شاءت، حرمت فاعل الشر من النسل أو منعت عن الأرض كل ميلاد"، يقول هوميروس في إحدى أناشيده واصفًا الأرض الأم:

"إنها الأرض التي أغني"

"الأم الكونية"

"إليك يعود أيتها الأرض "

"أن تعطي الحياة للأموات"

"مثلما يعود إليك أن تأخذيها" (فرانكفورت،1982، ص170).

لا يبتعد كثيرًا ما ذكره هوميروس في معناه عما ذكره أمية بن أبي الصلت في قوله:

والأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد

مما يدل على شيوع فكرة أمومة الأرض وانتشارها عند العرب، ومما يعزز ذلك، بقاء هذه الفكرة في التراث الإسلامي "سئل يحيى بن معاذ الرازي أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار، فلِمَ يطمئن إليها؟ قال: لأنه منها خلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشّه، ومنها رزق فهي عيشه، وإليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين إلى الجنة" (الثعلبي،1954، ص9)

فارتباط الإنسان بالأرض أمر أزلي ولا زال المخيال الجمعي يربط الأرض بالعرض (لي فرط في أرضو فرط في عرضو) فالأرض بالنسبة لمجتمع الدراسة ولعرب الزريبة عامة تظهر في مقصد هذا المثل وهو التعبير بحماسة تفوق كل تقدير موضوعي، عن تأكيد التصاق الإنسان بأرض الآباء والجدود، حتى لو تطلب الأمر، التضحية

بروحه وماله إذا لزم الأمر فداء لأرضه فلأرض والعرض لا تفريط فيهما خاصة في المجتمعات التي كانت تعيش على ما تنتجه أرضهم، وما يتنزل عليهم من مطر في كل موسم ولكونهم مجتمع ريفي بسيط، تمثل الأرض جزءاً من وجدانهم وإحساسهم، على المستوى الجمعي والفردي، ولذلك فأن الحقوق التي تتعلق بملكية بالأرض، لها ارتباط وثيق العرى بالحق في العيش والغذاء والعمل، علاوة على حقوق أخرى كثيرة يفرضها الوجود الإنساني، إذ يرتبط الحق في الأرض بهوية المجتمع المحلي وسبل كسب عيشه، ومن ثم بقائه في حد ذاته ولعل هذا ما يفسر لنا نشأت هذا النظام الفريد في استغلال الأرض فجمع ووحد مختلف القبائل والجماعات، والإبقاء على الملكية الجماعية للأرض، والماء والمرعى .

الأرض تمثل مكوناً حيوياً ووجدانياً لمن يرتبط بها من المزارعين أو الفلاحين أو الرعاة، فيما يتعلق بأسلوب حياتهم بشكل عام، يعارض الناس تحويل أراضيهم لمشاريع صناعية مثلما حدث في منطقة الوطن الغربي، وذلك خشية أن تنزع منهم تلك الأراضي في نهاية المطاف لصالح جهات لا تمت لهم بصلة مباشرة سواء من المستثمرين أو غيرهم، وهم بهذا التصرف يحرمون مناطقهم من بعض البنى التحتية التي قد تصاحب إنشاء تلك المشاريع مما يزيد من تخلف المنطقة وحرمانها من وسائل التطور والمدنية، الأمر الذي يبقي على سبل كسب العيش التقليدية كما هي فالأرض هي أساس التنمية، وأساس النزاع والصراع أيضاً.

لا أعتبر نفسي مخطئا إذا قمت بالاستعانة بمفهوم إعادة الإنتاج الذي استخدمه بيار بورديو فالأرض تعيد إنتاج ثقافة أهلها بقدر ارتباط أهلها بها وتلك الإعادة تتمثل في الحفاظ والإبقاء ولو على قوانيين وأنظمة لا تتماشى وتواكب تطورات عصرنا الحالي فالأرض هي انعكاس هوية الإنسان وذاته.

سابعا: أراضي العرش والنوع الاجتماعي

قامت مارغريت ميد أثناء إقامتها بقبيلة الأرابيش بصياغة السؤال التالي "ألا تريد أن يكون لك أصهار؟ مع من ستذهب إلى الصيد؟ ومع من ستقوم بعملية الغرس؟ ومن ستعود من أقاربك؟" إن جواب أي مغاربي على الأسئلة السابقة سيكون:(أذهب الى الصيد وأغرس مع أبناء عمي ...) (تيليون،2000،ص19) المخيال الجمعي المغاربي وخاصة في المجتمعات الريفية تضع المرأة في تراتبية اجتماعية أدنى من الرجل وترى تيليون (2000،ص21) كذلك أن عزل النساء الذي يرمز له بالحريم في المناطق الإسلامية انطلاقا من ملاحظتها المباشرة أن بعض المجتمعات يمارس فيها نوع من الإذلال على المرأة لأنها أضعف جسمانيا من الرجل الذي يعاملها مثل ما يعامل باقي ممتلكاته ويتعامل معها ككائن ناقص عقل وشكل هذا الاستعباد على حد قولها يختلف من منطقة الى أخرى ويتميز بسمات خاصة وعنيدة لا يضاهيها عناد في أي مكان أخر لأنها مدمجة داخل نسق

اجتماعي ملتحم أوردت هاته الأفكار لكون الأنثروبولوجية جيرمين تيليون درست أثنوغرافيا احد العروش القريبة جدا من مجال الدراسة (أولاد عبد الرحمن) بمنطقة المزريعة وأوجه التشابه الثقافية بارزة بشكل ملحوظ عدا أنها تفرق بين العروش ذات الأصول البربرية أو أصول عربية وفعلا فالذي وقفنا عليه في دراستنا أنه لا تستفيد المرأة من استغلال الأرض أو حتى نتاجها فيما يعرف بالفرسان والفارس والموضح بشكل مفصل في الفصل الرابع وسبب ذلك هو عدم عملها وانعدام دورها تماما في عملية الاستغلال، فلذا ليس لها حق في الأرض هذا حسب ما يراه احد الاخباريين فالحق في الانتفاع للذكر فقط وبعد مواجهتي لأحد الإخباريين بسؤال حول المعاق مثلا هل له الحق في الفارس مع أنه لا يعمل قال نعم ودون تردد، و أضاف أن له إخوة يعملون بالنيابة عنه (ألا يعمل الرجال بالنيابة عن المرأة طبعا منطق النظام الاجتماعي والهيمنة الذكورية المتوارثة هي من تحدد من يستفيد ومن لا يستفيد ولا علاقة بعمل المرأة من عدمه) فالتمييز الجندري يظهر بوضوح عند التطرق لدور المرأة وأعتقد أن السبب الرئيسي في عدم منح حقوق للمرأة من أراضي العرش هو تجنب ورفض دخول الغريب الى العرش فالمجتمعات العشائرية في منطقة الدراسة مجتمعات بطريركية ذكورية بامتياز ولا سلطة للمرأة فيها ولا تتميز هاته المجتمعات بميزة الزواج الداخليEndogamy بل نظام الزواج الأغترابي Exogamy يوازي النظام السابق لكن وضع قانون عرفي والذي يحرم ويمنع استفادة المرأة نهائيا من الأرض بل ويقصي دورها فيقصي هذا النظام العقاري بدوره أي غريب فلو تزوجت المرأة من أجنبي لن ينتفع من أراضي العرش لا هو ولا أبناءه، وتم إقصاءه نهائيا من هذا النظام الاجتماعي بإقصاء المرأة فلا يحق لهما الحصول على امتيازات من أراضي العرش حتى ولو استقر مدة طويلة مع العرش فاللقب العائلي والانتماء للعرش البيولوجي لا القرابي هو المخول الوحيد الذي يمنحك العضوية في الانتفاع من الارض أو لا.

ثامنا: وجهات نظر تاريخية واتجاهات مستقبلية حول الأرض

وجهات النظر التاريخية: تم الاعتراف بالأرض منذ فترة طويلة باعتبارها أصلا قيما، ليس فقط لقدرتها على توفير المأوى والمعيشة، ولكن أيضا لقدرتها على الحفاظ على الثروة وتجميعها مع مرور الوقت، وعلى مر التاريخ لعبت الأرض دوراً حاسماً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت بمثابة عنصر حيوي كرأس مال ثابت، فمن الحضارات القديمة إلى المجتمعات الحديثة، استمرت قيمة الأرض.

وجهات النظر الحديثة: في العصر الحديث، لا تزال الأرض تمثل أحد الأصول المرغوبة للأفراد والشركات والحكومات على حد سواء، ويتم تحديد قيمتها من خلال عوامل مختلفة، بما في ذلك الموقع، وإمكانية الوصول، والموارد الطبيعية، وإمكانات التنمية فالأرض كمخزن للقيمة توفر الاستقرار والتحوط ضد التضخم، وعلى

عكس الأصول الأخرى التي يمكن أن تخضع لتقلبات السوق، تميل الأراضي إلى الارتفاع بمرور الوقت، مما يوفر خياراً موثوقاً للاستثمار طويل الأجل، تعمل الأرض أيضاً كضمان للقروض والتمويل، مما يمكّن الأفراد والشركات من الاستفادة من ممتلكاتهم لتحقيق النمو الاقتصادي والتنمية وهذا يعزز قيمتها كمخزن للثروة.

الاتجاهات المستقبلية: مع استمرار العالم في التطور، تتشكل الاتجاهات المستقبلية للأرض كمخزن للقيمة من خلال عوامل مختلفة، يؤدي التحضر والنمو السكاني إلى زيادة الطلب على الأراضي في المدن، مما يؤدي إلى زيادة قيمة العقارات وإمكانية زيادة رأس المال، يؤثر تغير المناخ والاعتبارات البيئية أيضاً على قيمة الأرض، مع تزايد الوعي بالممارسات المستدامة، أصبحت العقارات ذات مصادر الطاقة المتجددة، أو البنية التحتية الصديقة للبيئة، أو القرب من المساحات الخضراء أكثر مرغوبة وأكثر قيمة.

إن المنظورات التاريخية والاتجاهات المستقبلية للأرض كمخزن للقيمة تسلط الضوء على جاذبيتها الدائمة وأهميتها في السياقات الاقتصادية والاجتماعية، فمنذ الحضارات القديمة إلى المجتمعات الحديثة، تم الاعتراف بالأرض باعتبارها أصلاً قيماً قادراً على الحفاظ على الثروة ومراكمتها، وبينما نمضي قدماً، من المتوقع أن يستمر الطلب على الأراضي في النمو، مدفوعاً بعوامل مثل التحضر، والاعتبارات البيئية، والتقدم التكنولوجي. إن فهم الديناميكيات التاريخية والمستقبلية للأرض كمخزن للقيمة يمكن أن يرشد الأفراد وواضعي السياسات في اتخاذ قرارات مستنيرة فيما يتعلق باستخدامها وإمكانات الاستثمار (الأمين العام للجنة السكان والتنمية، 2001) .

خلاصة الفصل

كخلاصة نخرج بها من هذا الفصل الموسوم بقيمة أراضي العرش وتمثلات عرب الزريبة حولها أن أراضي العرش ميدان مشترك للعروش وتتجلى المقاربة الوظيفية في إحداث توازن ناشئ من معرفة عميقة بقيمة الأرض وثرواتها، فتكون نظام عقاري بارع يدمج الفرد والجماعة، ففي السابق لم يكن ممكنا زراعة الحبوب وتربية الماشية بما تتيحه المعارف التقنية آنذاك إلا في إطار تنظيم قبلي قائم على الملكية الجماعية للأرض لان هذين النشاطين يتطلبان مجالات واسعة، فتقسيم الأرض على المجموعات العائلية، أو على الأفراد من شأنه ان يعيقهما فتربية الماشية غير مشهورة في المنطقة بالمقارنة بالمناطق الأخرى وتبدو كمكمل مساعد للزراعة، ولكنها كانت في الواقع ضرورية ضرورة الزراعة في الجبال والسهول على حد سواء فبالنسبة للبدو الرحل في الصحراء وتخومها هي النشاط الوحيد، ويتم الحصول على الحبوب بمبادلتها بمنتوجات تربية الماشية، فتخلق هاته السياقات ككل نظام شامل يعتبر المنطق الاجتماعي لذلك النظام القبلي، ففكرة عدم جواز تقسيم ارض الجماعة القبلية(أراضي العرش) النابع من إرادة المجموعة في التكيف مع المعطيات الطبيعية، له أسبابه فنمط زراعة الحبوب الخفيفة، والاتساع النسبي للأراضي، وضرورة نظام استراحة الأرض السنوية، وضعف الأدوات الزراعية، والحياة الرعوية، والتنقلات الدورية ونمط السكن كلها بنى لا معنى لها إلا داخل منطق هذا النظام، فالعروش لا تتشكل من أشخاص ينحدرون بالضرورة، من جد مشترك واحد أعطى اسمه لهذه القبيلة أو العرش بل هي مجموع مكون من مجموعات عائلية، أو مجموعات قرابيه ملفقة، مجموعات تمتص الفرد بإخضاعه إلى ضرورات أخلاقية ودينية في الغالب، وتقوم بتذويبه في بنية تراتبية لا تعرف شكلاً محدداً في المقابل كي تؤمن له، ضمانة بالتضامن والتماثل الاجتماعي، يستند النموذج القبلي إلى قاعدة أرضية، وهو من جراء ذلك أرضي أكثر مما هو قرابي، حتى وان كانت المعتقدات ترفع شعار الجد المشترك وتنشر القرابة البيولوجية التي تعزز الايديولوجيا الأبوية لكن القرابة الاجتماعية، تُعاش داخل العروش مثل القرابة البيولوجية، وهذا يخلق قابلية للتخفيف من النزاعات المحتملة، ويرفع نسبة التضامن بوجه « الآخر » ومهما كانت المعتقدات متجذرة، فلا تكفي لوحدها لحل كل تناقضات المصالح التي قد تظهر داخل نفس القبيلة، مما يخلق صراعات بين مجموعات نسبية، مختلفة تطمح إلى وظائف نفوذ، أو تريد مجرد الخروج من الجماعة القبلية لاعتقادها أنها تكتفي بذاتها ولكن السمة الأساسية في هذا التنظيم الاجتماعي ليست لا القبيلة ولا الحياة الرعوية، بل هذا النظام العقاري الخاص جداً الذي يتحدد، في النهاية، بضرورات الإنتاج الاجتماعي فأراضي العرش هنا هي من شكلت هذا النظام العقاري وأعطت بناء اجتماعي مميز (الهواري،1983،ص18-20)، لتكون فردا من العرش يجب أن تنتمي قرابيا للعرش قرابة بيولوجية لا اجتماعية أي أن تحمل على الأقل لقب من الألقاب

الموزعة على ثماني أعراش وحتى المصاهرة لا معنى لها على الأقل في استغلال أراضي العرش فالنظام العقاري يقصي أي فرد خارج العروش ولا يحق له الاستغلال أو الانتفاع بالأرض فالنظام العقاري ثابت ولا يتغير الا بعد تقسيم الأرض أو جعلها ملكية خاصة للأفراد حينذاك يستطيع الفرد أن يكون مقبولا في العرش أو القبيلة.

الفصل الرابع

استغلال أرض العرش

عند عرب الزريبة

تمهيد

الحديث هنا يتناول مفهوم الزراعة (الفلاحة) بالفرنسية agriculture ومن حسن حظنا أنها تتقاطع مع موضوعنا العام culture فكما يعرفها علي أحمد هارون في كتابه الموسوم بجغرافية الزراعة (2000، ص 19) agros الحقل culture العناية بالأرض وهو لا يتفق كما يرى الباحث في واقع الزراعة الآن لأنه يقتصر على حرث الأرض لإعدادها للزراعة أي فلاحتها، ولفهم التركيب الوظيفي للنشاط الاقتصادي فهو يختلف من مكان إلى آخر، تبعا للتطور التاريخي وتباين المجتمعات البشرية لأن المجتمعات البدائية يتميز فيها الإنتاج والاستهلاك فهو يهدف إلى الاكتفاء الذاتي فقط، عكس المجتمعات المتقدمة زراعيا فالوظائف تتعقد لأنها تخضع للإنتاج والتبادل والتسويق والاستهلاك (ص25) لكن هذا التعريف يتفق تماما مع دراستنا فاستخدام الأرض هنا هو حرث الأرض وإعدادها للزراعة وتوفير الغذاء للإنسان وللحيوان في أحسن الظروف، ولا تنفي هاته البساطة مصاحبة نظام معقد يشمل الملكية والتقسيم والاستغلال والتعقيد هنا سببه وظائف كل بنية من البنى والأنساق المرتبطة بهذا النظام وعلاقة تلك البنى فيما بينها فالنسق الديني يؤثر على عملية السقي والنسق القرابي يتداخل مع القانون العقاري وسوف نقوم في هذا الفصل بفهم عمل هذا النظام وتفكيكه إلى أجزاء تفهم داخل هذا البناء الكلي.

أولا: جغرافية المنطقة

وادي العرب : يعتبر هذا الوادي أهم الأودية وأطولها بعد وادي جدي الذي يأتي من الجبال ذات التكوين الطباشيري كجبل ششار وأعلى قمة فيه كاف اشمرزو (1834م) على يساره الوادي وجبل الجحفة على يمناه وبذلك فهو يعتبر الخط الفاصل بين جبال الأوراس وسلسلة جبال النمامشة من الشرق يتلقى من وديان ثانوية التي تعتبر أهم روافده الشمالية كواد ملاقو ، واد هلا، واد شلي، كميات معتبرة من المياه الفصلية التي تنزل من جبل الأوراس الذي يظهر قسمه الأول لمجراه أقل تعرجا وضفتيه واسعتين وبعد أن يتجاوز المنطقة التي يقال لها قلعة التراب يبدأ مجراه في الضيق وفي الانحراف وتكثر تعرجاته حيث يلاحظ أنه قد قطع عدة سدود طبيعية ما ساعد على قيام عدة منشآت مائية قديمة عليه وعلى ضفته اليسرى بالتحديد.

في فصل الصيف مياهه قليلة أو جافة لأنها ترتبط بجبل ششار القاحل والانعزالي إلا من بعض النباتات القليلة وهذا عكس ضفته اليمنى والتي تأتي إليها أغلب روافده والتي ذكرناها سابقا كواد ملاقو وواد هلا لذلك نجدها غنية بالأشجار كأشجار الصنوبر الألبي والبلوط وأشجار العرعار لكن بأقل كثافة لما نقارنه بغابات وادي الأبيض، ومن فم هلا إلى غاية منطقة الشبلي يزداد انحدار الوادي : قد تصل في بعض الأحيان إلى 180° خاصة بين جهة تابندوت وخيران والشبلي وصولا إلى منطقة الولجة جنوبا حيث تكثر أيضا الخوانق الضيقة آخرها مضيق خنقة سيدي ناجي حيث يتغير مجرى الوادي ويأخذ الوجهة الجنوبية الغربية إلى أن يصل إلى زريبة الوادي، ثم ينحرف مستقيما باتجاه الجنوب دائما ويضيع مع تفرعاته الكثيرة في شط ملغيغ، وللعلم فإن مياه هذه الأودية لما تقترب من الصحراء تزداد ملوحة نظرا لعامل التبخر واختلاط مياهها بالسباخ الملحية، ويلاحظ على مجرى وادي العرب بعد وصوله لمنطقة الزاب حيث أول محطة فيه وهي الخنقة يبدأ سريره في الإتساع العرضي لطبيعة الأرض المستوية والكلسية، وتحت عامل التآكل الذي تتسبب فيه مياه الوادي حيث حيوية جريانها القوي وعلى هذا تكون المقاطع العرضية للوادي محدبة ومقعرة، وبعد الخروج من واحة خنقة سيدي ناجي والتي تستقر على ضفتيه أو على سرير وادي شديد الانخفاض، حيث على ضفتيه جنوبا كل من واحة ليانة، القصر، بادس وكلها تتغذى من مياهه ومعروف على هذه الواحات الازدهار الاقتصادي في القديم، اذا جاء في المصادر البيزنطية انها كانت تحصد في السنة مرتين وكذلك في العصور الوسطى أي في الفترة الإسلامية ذكر البكري ان مدينة بادس قيها حصنان وأسواق... يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم ويعلق مارسيه marcier بقوله ان المكان لم يتغير ويقصد بادس والواحات المجاورة كزريبة الوادي، وبعد أن يمر على واحة بادس يتجه صوب واحة زريبة الوادي التي تقع في نقطة التقاء وادي العرب ووادي قشطان وهو مجرى سفلي يتكون من عدة روافد تنبع من جبل احمر خدو ومن هذه الواحة ينتهي الوادي في شط الفيض حيث يتفرع إلى عدة فروع ويشكل الوادي ما يعرف

بالدلتا حيث تكون الأراضي خصبة حيث تستقر واحة الفيض وهي تشرب أيضا من مائه من خلال الآبار التي حفرت على سريره (عناق،2016، ص79-81).

ثانيا: نظام الملكية العامة لأراضي العرش

يعد التطور التاريخي لحقوق ملكية الأراضي رحلة رائعة تكشف عن التحولات العميقة، وتعكس التغييرات في النظم الاقتصادية والهياكل السياسية والقيم الاجتماعية والثقافية لاستخدام الأراضي الجماعية من قبل المجتمعات القبلية ليناسب احتياجاتها ولا يفهم هذا التطور إلا بفهم أسس الملكية الجماعية وذلك التطور يدل على ملكية الأرض الكاملة وغير المقيدة، والمتتبع لمفهوم الملكية عبر التاريخ يجد أنها شهدت تحولات رائعة، من الترتيبات الجماعية والقبلية إلى النظام الحديث لحقوق الملكية الفردية، فأخذ التطور عدة أشكال بداية من الملكية القديمة والقبلية حيث كانت الأرض مملوكة بشكل جماعي فلا وجود لملكية فردية كما نعرفها اليوم باعتبار الأرض موردا جماعيا، تم تحديد استخدامه وفق مصالح وتقاليد واحتياجات المجتمع، ثم الانتقال إلى نظام الإقطاع والسيادة في العصور الوسطى ومنح اللوردات الأرض في مقابل الولاء والخدمة العسكرية مرورا إلى عصر التنوير، فقد جادل المفكرون مثل جون لوك عن الحقوق الطبيعية، بما في ذلك الحق في امتلاك الممتلكات ساهمت هذه الأفكار في تطوير الإطار القانوني الحديث لحقوق الملكية وأخيرا ما نشهده اليوم في معظم أنحاء العالم، تستند ملكية الأراضي إلى نظام يمكن للأفراد أو الكيانات القانونية شراء أو بيع أو تأجير أو تطوير الأراضي بدرجة عالية من الحكم الذاتي، تضمن النظم القانونية والأفعال وسجلات الأراضي حماية حقوق الملكية، هذا النموذج من ملكية الأراضي يدعم الاقتصادات الحديثة، مما يتيح الاستثمار والتنمية ونمو المراكز الحضرية، وفي دراستنا ولا نحتاج إلى موازنة كبيرة فالملكية لا زالت في شكلها البدائي الأولي باعتبار الأرض هي المورد الجماعي يتم تحديد استخدامه وفق مصالح وتقاليد وقوانين وأنظمة عرفية تلائم احتياجات المجتمع أو العروش.

ثالثا: نظام تقسيم أراضي العرش بين عروش المنطقة والتداول عليها

يتم تقسيم الأرض بواسطة القرعة والتي في الغالب يحضرها كبار العروش وكما رأينا في الفصل الثالث أن التركيبة الاجتماعية للعروش دائما ما تقدم رئيس للجماعة أو العرش يسمى كبير العرش ويتم التقسيم كالآتي كل عرشين معا ويستفيدون من المنطقة وهذا ما نبهنا عليه في ملاحظتنا أنفا باسم الرفقة، أي أن العروش تشكل أربع رفقات، ويصبح تشكيل العروش مقسما إلى أربع رفقات وكل رفقة تحصل على منطقة معينة، وغير معنية بالقرعة إذا كانت مستفيدة من الأرض أكثر خصوبة الوطن الغربي مثلا فلا يحق لها أن تستفيد من تلك الأرض حتى تكتمل الدورة على بقية الرفقات، إذا أراضي العروش أربع والرفقات أربعة ولفهم الملكية الجماعية يحب أن نوضح دور ووظيفة النسق الديني حيث إن مياه الأمطار التي تشكل الوديان في الغالب تعتبر ملكية عامة روى الإمام

أحمد وغيره عن الرسول صل الله عليه وسلم بلفظ: المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ، والماء، والنار. أي أنه هناك موارد طبيعية لا غنى للأسنان عنها والتي ينتفع بها الجميع، وإن غابت عنه هلك فلذلك جعلت مشاعا للمسلمين، وفي معنى هذا الحديث أن المسلمين لهم الحق في الانتفاع في ثلاثة أشياء ولا يحق لأي أحد أن يبيع أو يتسلط عليها ويمنع الانتفاع بها الكلأ أي شركاء في المراعي والأعشاب التي لا يملكها أحد في الأراضي الموات وشركاء في الماء ويقصد مياه الأمطار والعيون التي لم يسع أحد في حفرها وشركاء في النار فيما يستخدم منها كالأشجار والحطب وغيرها فتعتبر ملكية عامة، كذلك نرى في دراستنا الكلأ أو مانتبته الأرض هو ملكية عامة ولكن كما راينا سابقا ان السياق التاريخي والذي اثر فيها الاتراك بالدرجة الأولى والفرنسيون بدرجة ثانية جعل أهل المنطقة يملكون تلك الأراضي عرفيا، بواسطة قوانين حددتها الجماعة أو العروش مثل دراستنا فهي ملكية عامة للجماعة وخاصة بالنسبة للدولة.

وخارج الجماعة يعتبر غريب ولا ينفي هذا أن البدو الرحل لا زالوا يتنقلون ويرعون ماشيتهم في المناطق البعيدة فالمناطق ذات الطابع الفلاحي التي حددتها الجماعة فقط والتي عددناها قبل هذا العنصر ممنوع على الغرباء استغلالها إلا في حالة كرائها من الذين تحصلوا عليها بواسطة القرعة فلهم الحق بعد ذلك في استغلالها أو كرائها للآخرين وتبقى معينة لصاحبها لمدة خمس سنوات، وكل رفقة تقسم الأرض بينها ففي حالتنا مثلا رفقة أولاد محمد وأولاد بوجمعة والتي تحوي كلا منها عدة ألقاب تكون الأرض بينهم مناصفة وكبير العرش في كل عرش هو المسؤول عنها وفي الغالب يقوم بكرائها لأي شخص والأولوية دائما لابن العرش.

بزريبة الوادي أراض زراعية شاسعة تعرف بأرض (لوطن) وهي مملوكة للأعراش التي استوطنتها قديما، بحيث تتم عملية توزيع الأماكن أي الأراضي على الفرق والعائلات المالكة بواسطة إجراء عملية القرعة توزع دوريا بحيث تستغل كل فرقة ذلك المكان الذي وقع في نصيبها أثناء القرعة لمدة 5 سنوات ثم تنتقل إلى مكان آخر بعد انقضاء المدة، وبهذه الطريقة تستمر عملية التنقل من موقع لآخر أي دوران الارض على الاعارش، وتعم الفائدة جميع الأطراف ما داموا مداومين على هذا الأسلوب، ولتلك الأماكن أسماء ومعالم تميزها عن بعضها البعض ويطلقون عليها الأسماء التالية: الوطن الغربي (وهي أحسن منطقة زراعية لخصوبة أرضه) ثم التبديلة، الخرارة، لحرش، الغنامية...الخ الأراضي الخصبة تتم زراعتها بالحبوب وفي وطني (ريان والغنامية) تم غراسة غابات من النخيل والأشجار والاستعانة بالفلاحة الموسمية على حافتي وادي قشطان ووادي العرب، وقد نعتت هذه المزارع بأسماء متنوعة منها (الأبداع، الغار الأسود، ولجة النيلة، ولجة الجرارة، ولجة الجرعة، الأهواد، الأطلاع، البساتين، ولجة اطوال، ولجة بن جبل، ولجة بوعون وكلها أملاك للعرش موثقة رسميا حسب قول أحد الإخباريين.

وضحنا كيف يتم التداول على الأرض ولعل المنطقة الأقل خصوبة التبديلة هي أضعف منطقة في هذا النظام، فيستطيع أحد أفراد العرش ان يقوم كراء الفرسان من الآخرين إن لم يجد من يستغلها وتكمن وظيفة دوران الأرض أو دوران العروش على الأراضي في وظيفتين ان صح القول او كانت لها وظيفة وتغيرت مؤخرا، في السابق أقر العروش دوران الأرض –التداول عليها– لأن مشكل بعد المسافة والنقل غير متوفر مثلما عليها الان والشائع ونقصد الوظيفة الثانية هنا أنه يتم دوران العروش على الأرض لوجود منطقة او وطن أخصب من وطن فمسألة الخصوبة لم تكن مطروحة سابقا لأن الأمطار كافية ولكن مؤخرا يشكو الجميع من الجفاف وكذلك مع التطور التكنولوجي الذي نعيشه أصبح استغلال الأرض لا يدر ربح كبير كما في السابق، المسؤول الذي يقسم الأرض هو من يراقب نظام السقي واستغلال الأرض ونجد معظم المستفيدين استغنوا عن العمل في الأراضي وتوجهوا إلى أعمال أخرى فالنزعة الفردانية أصبحت واقعا.

صادفت دراستنا انتهاء مدة استغلال الأرض المحددة بخمس سنوات وسوف يقومون بالقرعة في نصف فصل الصيف أي بعد شهر من تاريخ مناقشة هذه الدراسة وإذا أتيحت لنا الفرصة سنقوم بالحضور وتسجيلها علما أن القرعة وتقسيم الأرض والتداول عليها يتحدد بنظام الفرسان الذي سنتطرق إليه في الجزء الآتي.

رابعا: نظام الفرسان

الفارس جمعه فراسين وفرسان هو نسبة من أرض العرش تقدم للشاب عند بلوغه حيث يكرم بقطعة ومساحة أرضية صغيرة طولها من طول الأرض وعرضها يحدد بواسطة عدد أفراد العرش فمثلا لو كان طول الأرض 100 متر وعرضها 100 متر وعدد الأفراد 100 فرد فيكون الفارس هو شريط طوله 100 متر وعرضه متر واحد ويحسب الفارس بالذراع والشبر والخطوة أي وحدات القياس القديمة التي تمليها الأعراف، قلنا الفرسان تحدد على حسب عدد أفراد العرش وكذلك تدرء بها مشاكل القسمة، لو نلاحظ جيدا نجد أن نظام الفرسان ما هو إلا شكل من أشكال أو طقس من طقوس العبور يتم وفقها ضم الذكور عند بلوغهم مباشرة إلى النسق الثقافي والذي يتمثل في الأعراف والقوانين التي تسير وفقها الجماعة فتفرض عليهم واجبات والتزامات كما تكرمهم بحقوق مادية، تقسم الأرض إلى فرسان وهنا تصبح وحدة قياس ونعني بالفرسان هنا أن تحسب عرض الأرض وتقسمه على عدد أبناء العرش ولا يهم طولها لأنها تتغير من وطن إلى وطن كما وضحنا سابقا، إذا المستفيد من الفرسان هو كل ذكر بالغ (سن البلوغ) وهذه شروط أساسية البلوغ والذكورة وعلى قول أحد الإخباريين إن البالغ هو الذي وجب عليه الصيام، فيكون لك الحق في الأرض عندما تبلغ وينتهي حقك بوفاتك فلا تورث ولا تملكها، مؤخرا ومع ازدياد عدد الأفراد تناقص عرض الفارس الذي يصل في بعض الأحيان إلى ذراع أو أقل من ذلك، فعلى سبيل المثال أنا أو أي فرد آخر أراد إن يستفيد أو يستغل الأرض يقم بشراء الفرسان فمثلا في حالتي أستطيع أن اشترى فرسان أولاد بوجمعة

كلها وتبدأ العملية من الأقرب إلى الأبعد مثلا أشترى فرسان إخوتي ومن ثم فرسان أعمامي وأبنائهم يعني من كل لقب بسكري ثم أتوسع إلى الألقاب المتواجدة في عرشي أولا تلي وشعبان ، ثم بن ناجي وبرمضان وبوجمعة لأن في الأصل قسمت الأرض على هذا المنطق ... وهكذا حتى إلى عرش أولاد محمد وطبعا البناء القرابي له دور كبير هنا فلا يستطيع ابن عمك بيع الفارس إلى الغير وكذلك لا تستطيع شراء فرسان من العروش الأخرى إذا رغب أصحابها في الانتفاع بها العملية تبدو بسيطة لكن البحث فيها أكثر من معقد.

يعتبر نظام الفرسان من اهم الأنظمة في استغلال أراضي العرش لأنه هو الشكل الاقتصادي في النظام فالفراسين هي وحدة قياس يتم وفقها البيع والشراء وتحديد عدد أفراد العائلة والعرش فمثلا عائلة بسكري تقريبا لها حوالي 90 فارس، فكرة البيع والشراء هنا في كل سنة وفي الحقيقة هو كراء وليس بيع.

خامسا: نظام السقي والحرث

لعل أهم نقطة في هذا النظام المتداول بينهم لاستغلال الأرض هي عملية السقي أولا الأرض أو طبيعة ملكية أراضي العروش هي ملكية عامة فالقوانين التي تحكم هاته العملية هي قوانين عرفية أول شرط فيها ان الاستغلال يجب أن يكون وفق ما تمليه الأعراف فيمنع منعا باتا حفر الآبار ويمنع إنشاء أو حفر عيون بالطرق الحديثة وطبعا كما نعلم حفر العيون او الابار الارتوازية مكلفة فلا أحد يقدم على حفر عين أو بئر إرتوازي ثم يتركه للأخرين، فيتم سقي الأرض بالطرق القديمة كاستغلال مياه الأمطار ومياه الوديان الجارية، وبحكم طبيعة الأرض والمنطقة الجغرافية فالواد الكبير وهو وادي العرب والذي جف و قل ماؤه كان المورد الرئيسي لاراضي العرش وكذلك الأراضي المحيطة به تم الاستيلاء عليها وتمليكها وأصبحت عبارة عن أراضي فلاحية ومستثمرات مملوكة لأفراد معينين، مثل الريان والغنامية، لكن مؤخرا اصبح يعتمد على واد قشطان هاته العملية تتم بمراقبة كبار العرش او رؤساء الجماعات الذين أشرنا إليهم سابقا قام سكان المنطقة مع عدم تحديد الفترة الزمنية بدقة بسد واد قشطان الذي يصب في واد عرب وهو الواد الكبير الذي يمر على زريبة الواد قادم مِنْ جِبَالِ اَلْأُورَاسْ مُنْتَهٍ فِي بَلَدِيَّةِ اَلْفَيْضِ عند حدود واد سوف، هذا عندما تتبعته بتطبيق خرائط قوقل وبعد سد الواد المذكور انفا تم حفر ساقيتين تمر على اراضي العرش في احد روايات الاخباريين أنه تم حفرهم سنة 1916 وبعد تكرار السؤال فأجاب أنه غير متأكد لعل الحفر كان اسبق لكن في 1916 تم إعادة تجديد السواقي ولا زالت تحتفظ بهذا الاسم (السواقي) والمكان الذي تمت فيه عملية بناء سد على الوادي يسمى بالمقسم الثامن إشارة منهم لسقي 8 أعراش.

تتم العملية بعد سد فروع الوادي ودراستنا شملت وادي قشطان ونفس العملية كانت تتم على وادي العرب، فبعد سد فروع الوادي وجعلها في مصب كبير يقوم الفلاحون بما يسمى بالتويزة في السابق ببناء حاجز بشكل طولي

يقسم الوادي إلى قسمين تكون في وسط الوادي لينقسم إلى ساقيتين وهذا أسمه المقسم الثامن ليصبح الوادي ساقيتين كل ساقية تسقي أربعة أعراش وبنفس الطريقة تقسم الساقية إلى ساقيتين تسمى المقسم الرابع أي ان الساقية تسقي أربعة عروش، سابقا الحاجز يكون من الأخشاب وجذوع الأشجار الكبيرة التي يجلبها الوادي من أشجار البلوط وغيره أما الآن أصبحت تقسم بواسطة الأسمنت المسلح أو جدار من اللبنات الأسمنتية يكون مدبب الرأس والصور المرفقة في الملاحق توضح شكله قلنا أن نفس العملية تتم في احدي الساقيتين ليصبح كل عرشين لهم ساقية وتسمى مقسم العرشين وهي تسقي الرفقة كما وضحنا سابقا وهي عرشان مستفيدان في منطقة واحدة وثم تقسم الساقية إلى المقسم العرش بنفس الطريقة تقسم الساقية ساقية العرش اقصد وساقية العرش تصبح ساقية النصف فمثلا نحن ولاد بوجمعة تقسم الساقية على ثلاث القاب مثلا بسكري وشعبان وتلي لهم ساقية وبرمضان وبن ناجي وبوجمعة لهم ساقية ثم تقسم ساقية النصف الى ساقية الربع بحيث كل لقب يأخذ ساقية الى (بلاده) وهي عبارة تعني الارض المخصصة للاستغلال وفي الاخير تقسم الساقية الى ساقية الثمن والتي يسقي منها اللقب الواحد او عدة القاب على حسب الفراسين التي تم شراؤها.

كل السواقي تمر بشكل طولي على الأرض الفلاحية وكل قطعة يتم سقيها بواسطة التفريع الأخير، المسمى المصرف وهناك انواع للمصارف أحدها يسقي الارض واخر يسمى العرضية وهو المصرف الذي يصرف فيه الماء الزائد عن حاجة المستغل للأرض وكما يروي أحد الاخباريين ان لو تنزل (قرطوع) في الجبل اي كمية قليلة جدا من الماء لا تكفي حتى لارتواء فرد فإنها تقسم على الجميع بهذا النظام والكل يستفيد من هذا الماء ويصله حقه كاملا متساويا مع البقية وفي الملاحق الجزء الثاني الصور توضح العملية.

في كل تبديلة وهي التحويل من أرض إلى أرض بعد خمس سنوات يتم تنظيف السواقي وتجديدها بأموال الفرسان ويتحكم في سعر الفارس مدى خصوبة الأرض، فالأراضي الخصبة يصل ثمن الفارس إلى 1500دج في حين الأراضي الأقل خصوبة يتدنى سعره إلى 400دج.

سادسا: النسق الديني

تطرقنا في احدى المحاضرات لموضوع اللباس وعلق في ذهني موضوعين لباحثين دافيد لابروتون الفرنسي ويوسف بن موسى التونسي والذي قام كل منهما بتحليل موضوع اللباس بمقاربة وظيفية، فدافيد لابروتون اخضع تحليله للباس على ضوء نسق الموضة أما الباحث التونسي تناول على سبيل المثال لثام التوارق واخضع تحليله على ضوء النسق الديني وكلاهما وفقا في التحليل وكل منهما فسر وحلل وفق حمولته الثقافية ان جاز التعبير، ولعل التحليل الأقرب لنا ثقافيا هي مقاربة الباحث التونسي لأن النسق الديني كان ولا زال حاضر في مجتمعاتنا لما

له من وظائف تتقاطع في كل الحياة الاجتماعية، كذلك عند البحث عن القوانين العرفية وأصل نشأتها تجد في القواميس الغربية أن أصلها قوانين عسكرية وفي ثقافتنا نشأت وفق قوانين دينية وللحديث عن تقسيم الأرض ومفهوم الملكية واستغلال الماء للسقي ننبهر بعبقرية الفقيه الاباضي أبي العباس الفرسطائي وكيف له أن تعرض قبل قرون لموضوع الهندسة المائية وكيفية تقسيمها وتوزيعها بالعدل من زاوية دينية خالصة وابدع الدكتور جمال عناق في اطروحته الدكتورالية الموسومة بموارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ من خلال كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائي القرن الخامس للهجري/الحادي عشر للميلادي في تحليل ماء جاء به الكتاب، ففي حديثنا في الفصلين السابقين عن الأرض فاتنا ان نركز على أن الأرض تزداد قيمتها وتنقص بوجود الماء وكل الحضارات القديمة قامت في السابق على أرض يجري فيها الماء حتى سميت بالحضارات المائية فشغلت الاستفادة من الماء المهندسين المائيين السابقين والمحدثين –على السواء–.

هناك ثلاثة أسس جوهرية في قواعد تشريع المياه بالمغرب الإسلامي دفع الضرر التشارك والعرف مستمدة من القرآن الكريم كما تشير إليه الآية الكريمة (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) الآية 28 سورة القمر وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ) وتتعدد وظائف الماء الناس شركاء في الماء لشفائهم، ومنافعهم من الاغتسال وغيره مما يرافق فيه، ويسقي دوابهم فيترتب على ذلك مبدأ من الإباحة والمساواة في الانتفاع هذا هو حال الماء في نظر الشريعة الإسلامية.

كرس أبو العباس الفرسطائي جهده ووقته لاستنباط الأحكام والقواعد المائية حيث راعى فيها ذوو الحقوق حتى أنه وقف مع صاحب حق الماء إذا أراد أحدهم أن يسرق ماءه وإذا استنفد جميع السبل جاز له أن يقاتله يقول (وإن لم يجد دفعه إلا بقتاله فليقاتله) (الفرسطائي، 1997، ص288) لأنه لا قيمة للأرض دون ماء، وتتجلى قيمة الماء في الموروث الاجتماعي بأن ارتبطت ملكيته للعرش فقط ولا يجوز تملكه، حيث إن كل فرد إذا وصل إلى البلوغ يصبح له الحق في الماء والأرض أما إذا مات هذا الشخص أو غاب تأخذ قسمته من الماء والأرض فهذا ما وجدناه معمولا به في زريبة الوادي حيث تستمر فيها ميزة الملكية الخاصة كشاهد على وفرته التي زالت اليوم حسب رواية أحد الإخباريين فمبدأ الملكية العامة يبتدأ من من الملكية العامة لماء المطر ويتم تقسيمه بالمساقي أو يجمع في ساقية واحدة ثم يقسمونه على الأرض.

كثرة الأودية والعيون والوضعية الطبوغرافية للأرض كالانحدار والاستواء وكذا حساب كمية الماء ومصدر المنسوب المائي المتدفق كلها عوامل خاصة بظروف المنطقة خلاف منطقة شبه الجزيرة العربية المعروفة بالآبار دعت أو دعنا نقل فرضت نظاما خاصا للتقسيم وبدوره فرض شكل آخر من أشكال الملكية والاستغلال.

سابعا: منتجات الأرض

-بالتأكيد- أول ما يذكر اسم زريبة الوادي في بسكرة يحيل هذا الاسم مباشرة إلى الحناء الزريبة وتستخدم الحناء في صبغ الشعر أو راحة اليدين والقدمين، ويكثر رواجها في الاحتفالات والأفراح حيث يتم توزيع عجين الحناء في علب صغيرة على الزوار وتستعمل العروس الحناء كزينة رئيسية للتجميل مع "الحرقوس" المصنوع من الحناء والقرنفل أساسا وللحناء استعمالات علاجية أخرى على غرار تخفيف الصداع النصفي، وتنقية الجلد وشفاء الجروح في السابق، لكن تم إهمالها من طرف النساء مؤخرا وكذلك من طرف الفلاحين لقلة الأمطار من جهة ونقص مردودها فلا نجد حضورها المميز كما في السابق.

الفريك كذلك يحتل مكانة كبيرة ويعتبر من أهم المنتوجات التي تتميز بها منطقة الزريبة فبمجرد ذكر كلمة فريك الزريبة (وهو حبوب من القمح تستعمل في الطبخ لطهي بعض الأطباق التقليدية) فأنت أمام نوعية ذات جودة عالية والفريك بالمناسبة يتم تحضيره من سنابل القمح على عدة مراحل فبعد حصاد القمح قبل أن يتغير لون السنابل من الأخضر إلى الأصفر يتم حصاده لكي يبقى محافظ على لونه الأخضر ثم يترك في الشمس لعدة أيام حتى يجف وبعدها يتم جمعه في أكوام على الأرض ثم تحرق سنابل القمح بعناية تامة لإزالة القشور عنها، ويتحول لون الكومة إلى الأسود ثم يترك مرة أخرى في الشمس لتقوم بتجفيفه، وبعدها يتم درسه وهي عملية فصل للحبوب عن القشور والقش فيظهر لون الفريك بلونه الأخضر المميز وثم يتم تخزينه في أماكن ذات درجة حرارة منخفضة لحمايته من التلف.

المرمز وهو من حبوب الشعير، بعد حصد السنابل وهي نصف طازجة يتم جمعها في غمارات (حزم صغيرة قدر قبضة اليد) يتم ضربها بواسطة عصى لتنزع القش عنها (السفا) ثم بواسطة التذرية وهي فصل قشور السنبلة وبقايا القش عن حبة الشعير وهي رفعها بواسطة قفة واسقاطها على الأرض، ثم يتم تفويره أي وضع الشعير في كسكاس على قدر مملوء بالماء فوق النار لينضج على البخار ويتم بعد ذلك تخميره في أكياس لمدة يوم، ثم ينشر في الهواء لتجف حبات الشعير، وبعد ذلك يعاد ضربها بالعصا مرة أخرى وحكها في كيس وتصفيتها ثم تذر مرة أخرى وبعد ذلك يتم تحميصها حتى يصل إلى اللون الأخضر المصفر وبعد ذلك يتم طحنها لتصبح على شكل دقيق موجه للطبخ في الأكلات التقليدية وينصح به أيضا لمعالجة الأمعاء الغليظة ودبغ المعدة وإزالة الحموضة والغازات من البطن.

الخضراوات بكل أشكالها ولكن ليست مثل المناطق الأخرى لطبيعة نظام استغلال الأرض فالملكية الجماعية تحرم المستغلين من حفر الآبار الارتوازية أو الزراعة بواسطة البيوت البلاستيكية فالأرض في الغالب

مخصصة للزراعات الموسمية مثل القمح أو الشعير على مياه الأمطار والوديان لا غير وحتى النخيل أو التمور لا تعتبر زريبة الوادي منتجة لها على الرغم من وجود بعض غابات النخيل التي تعد على الأصابع وهناك أيضا تشكيلة من البهارات معروفة في المنطقة مثل فلفل الأحمر، رأس الحانوت، وبعض الخضر كالفول، والجلبانة، واليقطين، والفلفل، والطماطم، والبصل، والثوم إلخ.

التبغ تشتهر منطقة زريبة الوادي كذلك بنوع من الزراعة الصناعية التي تنتج سنويا أطنانا من التبغ تسوق إلى الشركة الوطنية للتبغ والكبريت عن طريق التعاونية الفلاحية لتحويله إلى "ماكلة الهلال" ويوجد نوعان من أوراق التبغ العربي والبرازيلي الأول قليل الإنتاج لصغر حجم ورقه وخفته أما الثاني فيتميز بكبر حجم أوراقه وثقلها وهو النوع الأكثر إنتاجا في زريبة الوادي ويمكن تمييز النوعين حسب اللون فالعربي اصفر اللون أما البرازيلي فاخضر ومن كلا النوعين يستخلص العرعار وهو نوع من السجائر التي يتم تشكيلها يدويا بورق الماصة وسمي بالعرعار نسبة إلى ورقه الذي يمزج مع ورق التبغ ليصبح قابلا للاستهلاك وتتم صناعته تقليديا بعد نزع أوراق التبغ وتجفيفها لمدة يومين على الاقل، ثم تسحق وتغربل وتصفى من الشوائب والعيدان الرقيقة في المقابل يفور ورق العرعار حتى تتبخر منه مرارته ثم يتم نشره تحت أشعة الشمس لتجفيفه وعند مزجه بالتبغ يصبح جاهزا للاستهلاك فيكون أما باردا إدا ما كان مسحوق العرعار أكثر من التبغ ويكون كاسحا في حالة العكس أما عند تساوي المقادير فيكون بين البينين وحاله مثل حال الفريك فأذا قيل لك ا، هذا العرعار ونقصد به مادة التبغ فاذا قيل لك عرعار زريبي فانت امام نوعية جيدة، كما يمكنك أن تتعرف على متعاطي العرعار من خلال لباسهم حيث كثيرا ما تكون ألبسة مستهلكيه مثقوبة بسبب تساقط جمراته الخفيفة ولدالك قيل على لسان العرعار متحدثا إلى مستهلكه تحدث معي فقط ثم مع غيري بعد الانتهاء والمقصود هنا حتى لا ينطفئ لأنه ينطفئ بسرعة ليس كالسيجارة لا تنطفئ حتى نهايتها، ونجد الكثير من الشباب او كبار السن يستهلكونه بحجة أنه طبيعي ومعروف من صنعه عكس السجائر الاجنبية التي لا نعلم على ماذا تحتوي.

ثامنا: مآل أراضي العرش

معظم من قابلاتهم مع فكرة تقسيم الأرض فالفردانية –معظم المصادر التاريخية تشير أن الاستعمار الفرنسي هو من حاول إرساء فكرة الملكية الخاصة للأرض وتقسيمها على الأفراد بغية تفكيك القبيلة من جهة وضمان ولاء من منحهم الأراضي من جهة أخرى بغض النظر عن النيات الحقيقية المضمرة وهي مصادرة الأراضي خاصة الخصبة منها والاستحواذ عليها واعطائها للمعمرين مثل قانون فارني الذي سنه في 1873/07/26 وبموجبه كانت تجري تحقيقات عقارية جماعية استهدفت أراضي العرش والهدف لم يكن لأجل تطهير هذه العقارات وإعداد لها سندات ملكية من قبل المستعمر الفرنسي و إنما قصد نزع طابعها الجماعي وجعلها

ملكيات فردية ثم إدماجها فيما يسمى LES DOMAINES أي الأملاك التابعة للدولة الفرنسية لتتمكن من التصرف فيها فيما بعد للمعمرين الفرنسيين (مجلس الدولة،2022) –قلنا ان الفردانية أصبحت منزع الكثير والفكر الجماعي يتلاشى مع أن المبحوثين يعتقدوا أن الشيوخ وأكابر العروش والقوانين العرفية التي تحكم التنظيم بدأت تخبو أصواتها و تفقد سطوتها من جهة و ضياع بعض أراضي العرش سواء بالحيازة الغير شرعية لبعض الدخلاء على المنطقة او الاستحواذ عليها من طرف الدولة والتصرف فيها فمن الأحسن تقسيمها على العروش مع أنه في تسعينات القرن الماضي قاموا بمحاولة التقسيم لكن النظام العقاري المعمول به في استغلال أراضي العرش أعاق ووقف حائلا أمام عملية القسمة، ولعل حكمة القدماء تَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ اَلنِّظَامِ اَلْمُعَقَّدِ وَاَلَّذِي يَصْعُبُ مِنْ عَمَلِيَّةِ اَلتَّقْسِيمِ وَيُسَهِّلُ عَمَلِيَّةَ اَلِاسْتِغْلَالِ ففكرة الملكية الجماعية للأرض مرفوضة كمبدأ لكن لا يوجد خيار اخر، ففي السابق فعلا كانت طريقة صالحة أما اعتماد الملكية الجماعية للأرض لا معنى له الآن حسب ما يعتقده المجتمع المبحوث.

ملاحظة تعتبر عملية القسمة معقدة لأن عدد الأفراد الآن أكثر نسبيا من مساحة الأرض فعرض الفارس يصل أحيانا إلى (شبر) وحدة قياس تعادل حوالي 23 سنتيمترا ولا يستطيع أي أحد أن يستغل أرضا فلاحية طولها مئات الأمتار وعرضها أقل من نصف مترا وضف إلى ذلك عامل الخصوبة يقف حائلا أمام ذلك، فالأرض الخصبة والأكثر خصوبة يطمع فيها كل شخص وطبعا ترفض القرعة إذا وقعت الأرض الأقل الخصوبة من نصيب عائلة أو عرش معين والعامل الأخير والأهم حسب اعتقادي هو قرب المسافة أو بعدها عن الطريق الوطني فالكل يطمح أن يأخذ أرض الوطن الغربي مثلا لأنها أكثر خصوبة وبمحاذاة الطريق الوطني مما يسهل من عملية استغلال الأرض عكس الأراضي البعيدة والتي لا تتوفر حتى على الكهرباء التي أصبحت ضرورية.

خلاصة الفصل

لكل نظام ضرورات وظيفية واهم هاته الضرورات هي قابلية النظام على تكييف نفسه للأنظمة الأخرى وللبيئة الطبيعية التي وجد فيها مع تحقيق الأهداف الرئيسة للنظام وقابليته على تحقيق الوحدة بين أنساقه وقدرته على المحافظة على الاستقرار والانسجام فإذا وجد خلل في أحد أنساقه سيزول ويتغير فمثلا لو يتغير أحد الأنساق مثل ما أشرنا إلى النسق الديني –على سبيل المثال– فسيتغير نظام الاستغلال أو إذا تغير نظام الملكية فسيتغير شكل الاستغلال وأسلوبه وبالتالي لأي نظام متطلبات وظيفية تقوم على تحقيق وتهيئة الظروف الأساسية التي تساعد بقية الأنساق على البقاء والاستمرار والتطور، ومن هذه الظروف التنشئة الاجتماعية التي تقوم عليها القبيلة او العرش وتزويد افرادها بالمهارات والقيم التي يعتزون بها كذلك وجود قواسم مشتركة كاللغة للتواصل والدين والالتزام بالأدوار ضمن الجماعة لأنها تضمن امتيازات وحقوقا على الافراد وتفرض واجبات يقومون بها وهذا ما لمسناه في دراستنا فلا تستطيع فهم الكل الا بفهم الأجزاء داخل الكل فالجغرافيا والتضاريس في المنطقة كانت عاملاً مهماً في تشكيل نظام الملكية العامة للأراضي وتقسيم أراضي العرش بين العروش المختلفة عن طريق القرعة، بحضور كبار العروش، وأصبح التقسيم الفردي للأراضي أمراً واقعاً كذلك نظام الفرسان ووفقه يتم تخصيص قطع أرضية صغيرة للشباب عند بلوغهم كتكريم وهو طقس من طقوس العبور وهذه العملية معقدة وتحتاج إلى مزيد من البحث نظام السقي والحرث كما رأينا حيث الماء مشترك بين الجميع، وفقاً لما ورد في القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لعله كان السبب في نظام الملكية العامة الذي أثر على نظام الاستغلال حاولنا التعرف في هذا الفصل على منتجات الأرض التي ميزت المنطقة وذات جودة عالية، مثل الفريك وتبغ العرعار وفي الاخير تحدثنا عن مصير أراضي العرش، حيث أن معظم من قابلتهم يميلون لفكرة تقسيم أراضي العرش والفردانية كما طرحت الفكرة في البداية مطلب نفسي واجتماعي.

خاتمـــــة

خاتمة

بعد هاته الفصول اصبح لدينا تصور عام وواضح حول هذا النظام ونستطيع القول ان الافتراض الذي حددناه في البداية وهو ان الأرض هي العامل والمحرك الخفي لإنشاء اثنيات وتجمعات سكانية يتفاعلوا فيما بينهم وفق أدوار معينة تم تحديدها لمراعاة مصلحة الفرد ضمن مصلحة العرش، ومع ان العرش هو الذي يفرض ويحدد النمط الثقافي الذي يجب ان يلتزم به الأرض فتنشأ علاقات بين الافراد يلتزمون بها للحفاظ على مكانتهم ضمن الجماعة ومصلحة العرش او الجماعة محددة مسبقا بما تمليه طبيعة الأرض فاستغلال أراضي العرش هو ثقافة محضة وفلسفة خاصة تمليها العديد من الانساق فهاته الدراسة الأنثروبولوجية لنظام استغلال أراضي العرش في زريبة الوادي ساهمت بشكل كبير في إبراز الخصوصية الثقافية والاجتماعية لهذا المجتمع الزراعي على النحو التالي:

كشفت عن معالم البنية الاجتماعية من خلال تحليل نظام استغلال الأراضي، تم الكشف عن تفاصيل هامة حول التنظيم الاجتماعي والعلاقات بين أفراد المجتمع، وطبيعة الروابط القبلية والعشائرية.

وضحت الملامح الاقتصادية والمعيشية فدراسة نظام الأراضي أبرزت الخصائص الاقتصادية للمجتمع، وأساليب الإنتاج والتوزيع، وانعكاساتها على الحياة اليومية للسكان.

ربطت البيئة بالثقافة من خلال فهم نظام استغلال الأراضي، تم الربط بين الخصائص البيئية للمنطقة وتشكل الممارسات الثقافية والاجتماعية لأهل زريبة الوادي.

كشفت عن دور الدين الدراسة أوضحت كيف أن الممارسات الدينية الإسلامية تؤثر على إدارة الأراضي والموارد الطبيعية في هذا المجتمع بهذا، ساهمت هاته الدراسة الأنثروبولوجية لنظام الأراضي في إبراز الخصوصية الثقافية والاجتماعية لزريبة الوادي كمجتمع زراعي ريفي له سماته المميزة في التنظيم الاجتماعي والاقتصادي وعلاقته بالبيئة والدين.

اشتملت دراستنا على عدة نقاط رئيسية تمثلت في صعوبات الدراسة كندرة المصادر والبيانات الموثقة عن المجتمعات العشائرية والقبلية والتأثير الكبير للسياق التاريخي والاجتماعي على هذه المجتمعات وصعوبة الوصول إلى المعلومات الدقيقة والموضوعية كما أن البناء العشائري والقبلي لتنظيم المجتمع كان في عروش وقبائل لديها هياكل اجتماعية محددة ولها خصوصية من حيث التركيبة الاجتماعية والتاريخية، كذلك أهمية الأرض كمورد

أساسي وذو قيمة رمزية في هذه المجتمعات وتتبع نظام الملكية العامة لأراضي العرش وطرق تقسيمها وتداولها يخضع لتمثلات اجتماعية واثقافية، وكما أشرنا تعتبر الأرض مورد أساسي وذو قيمة رمزية وهوياتية لدى هذه المجتمعات العشائرية وتشكل ملكية الأرض جزءًا مركزيًا من الهوية الاجتماعية والثقافية لعرب الزريبة وهي مملوكة ملكية جماعية للعرش أو القبيلة، كما أن أراضي العرش تخضع لأنظمة ملكية وتسيير خاصة على مستوى العرش وتوجد آليات محددة لتحديد حدود وملكية أراضي العرش في زريبة الوادي وتتداخل الرمزية والأبعاد الاجتماعية والجندرية وتوجد فوارق في النوع الاجتماعي فيما يتعلق بحقوق الملكية والتصرف في الأرض لأن أنظمة الملكية لها دور مركزي في تاريخ هذه المجتمعات وهناك اتجاهات مستقبلية نحو إعادة النظر في أنظمة الملكية والتسيير الجماعي للأرض.

كما ان المنطقة تتميز بطبوغرافية صحراوية ومناخها جاف وهذه البيئة الطبيعية تؤثر على أنماط استخدام الأرض وأنظمة الملكية لذلك وجدت آليات محددة لتنظيم استخدام وتوزيع هذه الأراضي وتقوم العروش المختلفة بتعيين حق الاستفادة من أراضي العرش ويتم توريثها بصيغة خاصة، كما أن نظام الفرسان والعمل الجماعي في الزراعة والسقي هي أنظمة تقليدية تنظم استخدام وإدارة الأراضي، لا نستطيع إهمال دور النسق الديني والمعتقدات المرتبطة بالأرض فلها أبعاد دينية ورمزية في ثقافة هذه المجتمعات والتي تؤثر مباشرة في تظام الاستغلال، وتقوم الأرض بإنتاج مجموعة من المحاصيل والثروة الحيوانية هذه المنتجات كانت تشكل أساس الاقتصاد والمعيشة ورغم ذلك هناك تحولات في نظم الملكية والاستخدام تؤثر على مستقبل هذه الأراضي، والأبعاد الاجتماعية والسياسية للأرض ما زالت محل جدل.

نتائج الدراسة:

خلصت الدراسة الاثنوغرافية لنظام استغلال أراضي العرش بزريبة الوادي التي قمنا بها إلى عدة نقاط أبرزها:

1. صعوبة الحصول على مصادر وبيانات موثقة عن هذه المجتمعات، نظرًا للخصوصية التاريخية والاجتماعية لها.
2. أهمية الأرض كموردٍ أساسيٍ وذي قيمة رمزية في هذه المجتمعات، حيث تشكل ملكية الأرض جزءًا مركزيًا من الهوية الاجتماعية والثقافية.
3. وجود أنظمة خاصة لملكية وتسيير أراضي العروش، مع آليات محددة لتحديد الحدود والملكية.
4. التداخل بين الرمزية والأبعاد الاجتماعية والجندرية فيما يتعلق بحقوق الملكية والتصرف في الأرض.

5. تأثير البيئة الطبيعية الصحراوية على أنماط استخدام الأرض وأنظمة الملكية.
6. وجود أنظمة تقليدية لتنظيم استخدام وإدارة الأراضي، مثل نظام الفرسان والعمل الجماعي.
7. للأرض أبعاد دينية ورمزية في ثقافة هذه المجتمعات.
8. هناك تحولات مستقبلية محتملة في نظم الملكية والاستخدام للأراضي.
9. الكشف عن تفاصيل البنية الاجتماعية والعلاقات القبلية والعشائرية.
10. إبراز الخصائص الاقتصادية والمعيشية للمجتمع من حيث أساليب الإنتاج والتوزيع.
11. توضيح العلاقة الوثيقة بين البيئة والممارسات الثقافية والاجتماعية.
12. إبراز دور الدين الإسلامي في إدارة الأراضي والموارد الطبيعية.
13. الأرض لها دور كبير في بناء المجتمعات وتشكيل البنى القرابية.
14. الانتساب إلى جد واحد فكرة غير صحيحة.
15. القبيلة أو العرش تشكل عبر تحالفات تمليها سياقات عديدة إيكولوجية، أيديولوجية، تاريخية... إلخ.
16. للأرض هيمنة رمزية وسلطة تفوق سلطة الإنسان.
17. زوال أو بداية زوال سلطة القبيلة على الأفراد والنزوع إلى الفردانية.
18. عدم وجود سياسة واضحة للدولة حول التعامل مع مثل هاته الموضوعات.
19. النظام المدروس معيق من معيقات التنمية الاقتصادية في المنطقة.

هذه الملامح المعقدة والمتشابكة للعلاقة بين هذه المجتمعات والأرض تسلط الضوء على أهمية فهم السياق التاريخي والاجتماعي الخاص بها وبشكل عام، أبرزت هذه الدراسة الأنثروبولوجية الطابع المتميز لمجتمع زريبة الوادي كمجتمع زراعي ريفي من حيث تنظيمه الاجتماعي والاقتصادي وعلاقته بالبيئة والدين وهذا يساعد في فهم الخصوصية الثقافية والاجتماعية لهذا المجتمع بشكل أعمق، وفي نفس السياق نعتقد أن هاته الدراسة الأنثروبولوجية لنظام استغلال الأراضي في زريبة الوادي تقدم رؤية لهذا المجتمع الزراعي تتمثل في:

أولاً: تحليل البنية الاجتماعية كشفت عن طبيعة التنظيم الاجتماعي والعلاقات بين أفراد المجتمع، مما يساعد في فهم ديناميكيات المجتمع المحلي وكيفية اتخاذ القرارات والتعاون فيما بينهم، هذه المعرفة أساسية لتصميم برامج تنموية مناسبة تراعي الخصوصية الاجتماعية.

ثانياً: الكشف عن الخصائص الاقتصادية والمعيشية يوفر لنا فهماً معمقاً لأساليب الإنتاج والتوزيع السائدة، والتي تؤثر بشكل كبير على حياة السكان اليومية، هذه المعلومات ضرورية لتصميم تدخلات تنموية تتناسب مع الواقع الاقتصادي للمجتمع.

ثالثاً: الربط بين البيئة والثقافة يشير إلى أن أي تغيير في استخدام الأراضي والموارد الطبيعية سيؤثر على النسيج الاجتماعي والممارسات الثقافية، وهذا يتطلب اتباع نهج متكامل للتنمية يراعي التوازن البيئي والثقافي.

رابعاً: إبراز دور الدين الإسلامي في إدارة الأراضي والموارد الطبيعية يؤكد على ضرورة مراعاة القيم والممارسات الدينية عند التخطيط للتنمية الريفية، وهذا سيساهم في ضمان قبول وتبني السكان للتدخلات التنموية.

في ضوء هذه الرؤى، نؤكد على أهمية الدراسات الأنثروبولوجية في إرساء أسس التنمية الريفية الشاملة والمستدامة والتي تتجاوز التركيز الضيق على الجوانب الاقتصادية فقط.

قائمة المصادر والمراجع

I. قائمة المصادر والمراجع:

1. الورثيلاني، س. ح. (بدون سنة نشر). نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيبرجونتانا الشرقية، الجزائر.
2. الهواري، ع. (1983). الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي1830-1960، ط1، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.
3. نعمه، ح. (1994). ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان.
4. مصباح، ع. (2004). علم الاجتماع الرواد والنظريات، مطبوعات دار الأمة، الجزائر.
5. الكاتب، س، والكاتب، أ. (1980). شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، دار مكتبة الحياة.
6. فرانكفورت، هـ. (1982). ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، الطبعة الثالثة، الؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
7. فادية، ف. م. م. (2006). البنائية عند ليفي ستروس،دار المعرفة الجامعية،مصر
8. غرداوي، ن. (2015). أعراش وقبائل متيجة ودورها في المقاومة الوطنية في بداية الاحتلال الفرنسي، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، العدد4.
9. شبلي، ر. (2017). السلطة والقبيلة من خلال كتاب المقدمة لعبد الرحمن ابن خلدون، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العددالسادس، جامعة طاهري محمد، بشار، الجزائر.
10. سعد الله، أ. (1996). تاريخ العدواني،دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان.
11. الدرعي، أ. م. (2011). الرحلة الناصرية، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة.
12. الخشاب، م. (1970). دراسات انثروبوجية، دار المعارف، القاهرة.
13. الخشاب، أ. (1988). التفكير الاجتماعي (دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية)، دار النهضة العربية، بيروت.
14. حشلاف، ع. (1929). سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد 57 تونس.

15. حاجي، ن. (2018). أراضي العرش بين ملكية الدولة وحيازة العروش في الجزائر، مجلة الحقيقة، مجلد17عدد3، الجزائر.

16. حاجي، ن. (2015). النظام القانوني لأراضي العرش في الجزائر،أطروحة دكتوراة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.

17. جبائلي، م. (1986). طبيعة أراضي الملك والعرش في الجزائر ما قبل الاستعمار، مجلة التاريخ، ع 21، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر.

18. الثعلبي، أ. (بدون سنة نشر). قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، المكتبة العربية بالأزهر، القاهرة، مصر.

19. تيليون، ج. (2000). الحريم وأبناء العمتاريخ النساء في مجتمعات المتوسط،ترجمة عزالدين الخطابي وادريس كثير،دار الساقي،بيروت،لبنان.

20. بن دحمان، ع. (2013). الشيخ مولود الزريبي، ط1، دار علي بن زيد حي المجاهدينبسكرة، الجزائر.

21. بلبول، ن. (2008). ظاهرة المثاقفة بين العرش والمدينة،دراسة سوسيوانثروبولوجية،رسالة ماجستير،كلية العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر.

22. بريتشارد، إ. (1960). الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، منشأة المعارف،الإسكندرية، مصر.

23. بادي، م. ع. (2020). زريبة الوادي تاريخ وشخصيات،علي بن زيد،بسكرة،الجزائر.

24. ابن خلدون، (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، الجزء السادس دار الفكر، بيروت،لبنان.

المعاجم والقواميس:

1. جبران، م. (1992). معجم لغوي عصري، الطبعة السابعة، دار العلم للملايينبيروت، لبنان.

2. معجم المعاني الجامع.

3. سليم، ش. م. (1981). قاموس الانثروبولوجيا، ط1 جامعة الكويت.

4. ايزار، ب. م. (2011). معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، ط2، مؤسسة مجد، بيروت، لبنان.

5. الطيب، م. س. (2001) موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي.

6. ابن منظور. (بدون سنة نشر). لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى.

7. المنجد في اللغة العربية. (2000). دار الشرف للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بتَوت لبنان.

8. ابن منظور. (2004). لسان العرب، المجلد العاشر، دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بتَوت، لبنان.

10. العريبي، م. (1995). الديانات الوضعية المنقرضة، الطبعة الأولى، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان.

11. الخوري، ل. (1990). معجم الأساطير، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.

المواقع الالكترونية:

1. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%84

2. محمد عيلان.الأسماء والألقاب في الجزائر.نشر يوم16فيفري2022

.https://elbassair.dz/18151/.اطلع عليه يوم 2023/12/10 يوم الاحد على الساعة 21:02

3. 3–معاينة حق الملكية العقارية وتسليم سندات الملكية عن طريق التحقيق العقاري ،22 جوان 2022،https://conseildetat.dz/ ،اطلع عليه يوم الخميس 21مارس2024

4. https://real-sciences.com/%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%DB%8C%D8%A7%D8%A1/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AB%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-j-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%85%D9%8A%D9%88%D9%86%D8%8C-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D8%8C/

5. https://zs4753.wordpress.com

6. محمد مقنع.العرب موجودين في شمال افريقيا.9 ماي 2015
https://mazicumpact.wordpress.com/ أطلع عليه يوم 2023/11/08 على الساعة 22:01
7. محمد عيلان.الأسماء والألقاب في الجزائر.نشر يوم16فيفري2022 .https://elbassair.dz/18151/.اطلع عليه يوم 2023/12/10 يوم الاحد على الساعة 21:02
8. https://ouladattia.blogspot.com/2020/06/blog-post_97.html
9. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%84)
10. https://a9nh.wordpress.com/2013/08/21/%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%A6-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9/

الملاحـــق

II. الملاحق:

1) الملحق الأول: دليل المقابلة

دليل المقابلة:

البيانات الشخصية للمبحوث

الجنس:

السن:

الحالة الاجتماعية:

الإقامة:

المحور الاول: التركيبة الاجتماعية لعرش عرب الزريبة

السؤال الاول: ما إسم العرش وكم فرقة فيه وهل تستطيع ان تحدد الألقاب الموجودة في كل فرقة أو على الأقل فرقتك؟

.....

.....

.....

السؤال الثاني: عرب الزريبة هل هم عرش واحد أم عدة عروش تحالفت ؟

.....

السؤال الثالث: هل سكان عرب الزريبة أصليين أم أنهم قادمون من مكان آخر؟ نظام لسلطة مما يتكون؟

.....

السؤال الرابع: ما رأيك في من يقول غير ذلك مع أمثلة؟

.....

السؤال الخامس: هل فكرة الانتساب يقينية وثابتة أم فيها ما يقال خاصة شجرة الانتساب؟

.....

السؤال السادس: هل هناك دخلاء على العرش وكيف نميز بين الدخيل والأصيل ؟

.....

السؤال السابع: من هو ممثل العرش وعلى أي أساس يتم اختياره؟

.....

السؤال الثامن: من هي العروش الأقرب ولها علاقات طيبة مع عرب الزريبة والعروش التي تتنازع معها؟

.....

السؤال التاسع: هل كل العروش في رأيك لها نفس التركيبة الاجتماعية؟

.....

المحور الثاني: قيمة أراضي العرش وتمثلات عرب الزريبة حولها

السؤال العاشر: ماذا نقصد بأرض العرش وهل كل أراضي زريبة ملك للعرش؟

السؤال.....

الحادي عشر: هل هناك أرض تملكها الدولة وكيف نستطيع تمييزها ؟

.....

السؤال الثاني عشر: هل هناك عروش أخرى أو ألقاب معينة في العرش لا تملك أرض؟

.....

السؤال الثالث عشر: من الذي يعرف حدود الأرض؟

.....

السؤال الرابع عشر: ماذا تمثل الأرض لك ولعرب الزريبة عامة؟

.....

السؤال الخامس عشر: لماذا لا يدخل النساء في ملكية الأرض؟

.....

السؤال السادس عشر:هل أنت مع أو ضد فكرة تقسيم الأرض على العروش؟

نعم ◯

لا ◯

السؤال السابع عشر: هل أنت موافق على الملكية الجماعية للأرض؟

نعم ◯

لا ◯

السؤال الثامن عشر: هل تجدها طريقة صالحة :

نعم ○

لا ○

السؤال التاسع عشر: لماذا تم اعتماد الملكية الجماعية للأرض بالنسبة لك:

.....

المحور الثالث: طبيعة النظام المعمول به لإستخدام الأرض والانتفاع بها

السؤال العشرون: كيف يتم الاستفادة من أراضي العرش وهل هناك قوانين معينة؟

.....

السؤال الواحد العشرون: من هو المسؤول المباشر على تقسيم الأرض على الذين يريدون الاستفادة منها؟

.....

السؤال الثاني والعشرون: كيف يتم التداول على الأرض؟

.....

السؤال الثالث والعشرون: لماذا تدور الأرض من فرقة الى فرقة؟

.....

السؤال الرابع والعشرون: هل نفس المسؤول الذي يقسم الأرض هو من يراقب نظام السقي واستغلال الارض؟

.....

السؤال الخامس والعشرون: هل تعلم او تسمع عن منطقة ما سواء في الجزائر او خارجها تعمل بهذا النظام؟

.....

السؤال السادس والعشرون: هل يسمح باستغلال الأراضي بطرق حديثة؟

.....

السؤال السابع والعشرون: لماذا الاستفادة من الأرض لا تتعدى زراعة القمح او الكلأ للمواشي ماهي المنتجات التي تزرع فيها؟

السؤال الثامن والعشرون: هل تحدث مشاكل عند استغلال الأرض وكيف يتم حلها

.....

السؤال التاسع والعشرون: هل كل مستغلين الأرض يحترموا القوانين التي تنظم طريقة الاستغلال؟

.....

السؤال الثلاثون: هل تعتبر أن هذا النظام سيبقى أو يتغير مع مرور الوقت؟

.....

2) الملحق الثاني: صور ميدانية

الصورة رقم (01): التقاء ساقيتين

الصورة رقم (02): سقي الأرض الفلاحية بالتفريع الأخير للساقية

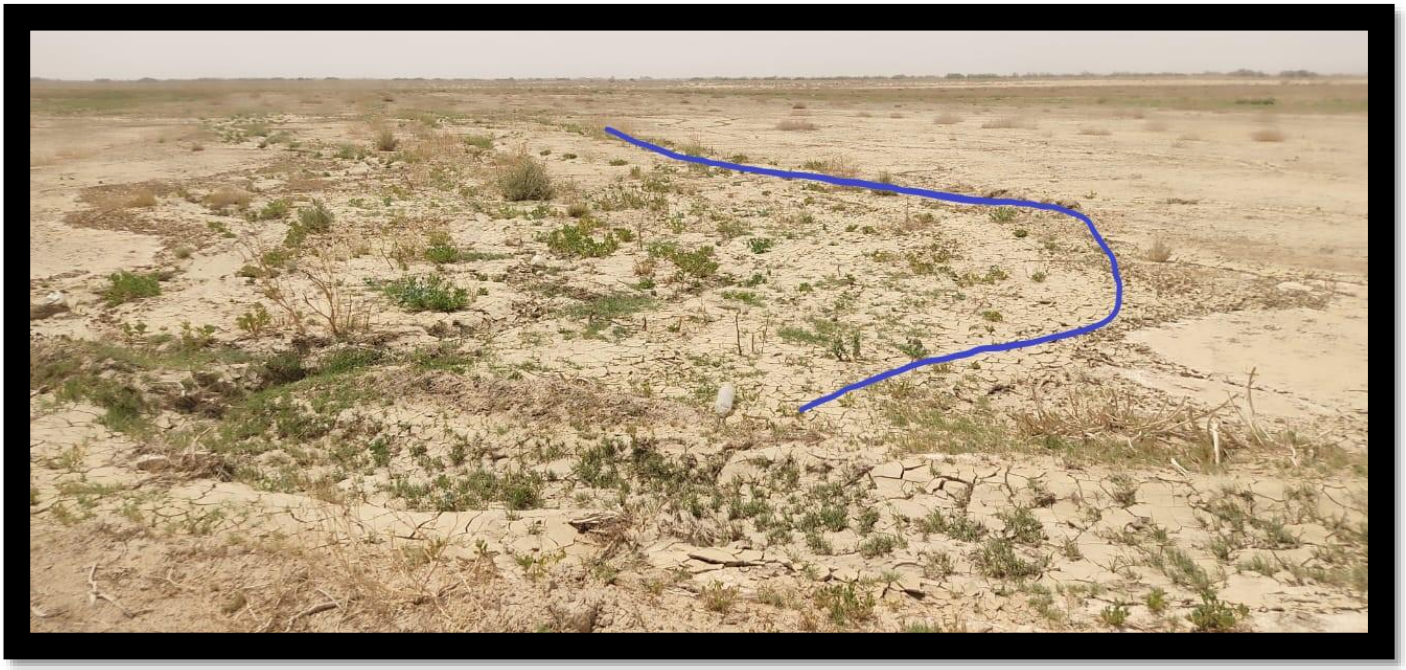

الصورة رقم (02): سقي الأرض الفلاحية بالتفريع الأخير للساقية المصرف

الصورة رقم (03): ساقية مصنوعة من الاسمنت المسلح في وسط المدينة

الصورة رقم (04): ساقية متفرعة من المقسم الثامن

الصورة رقم (05): ساقية متفرعة من المقسم الثامن خارج العمل مصرف العرضية

الصورة رقم (06): ساقية متفرعة من المقسم الرابع

الصورة رقم (07): ساقية متفرعة من مقسم النصف

الصورة رقم (08): شكل البناء الذي تقسم به الساقية

الصورة رقم (09): شكل بناء يقسم الساقية إلى عرشين وفرقة

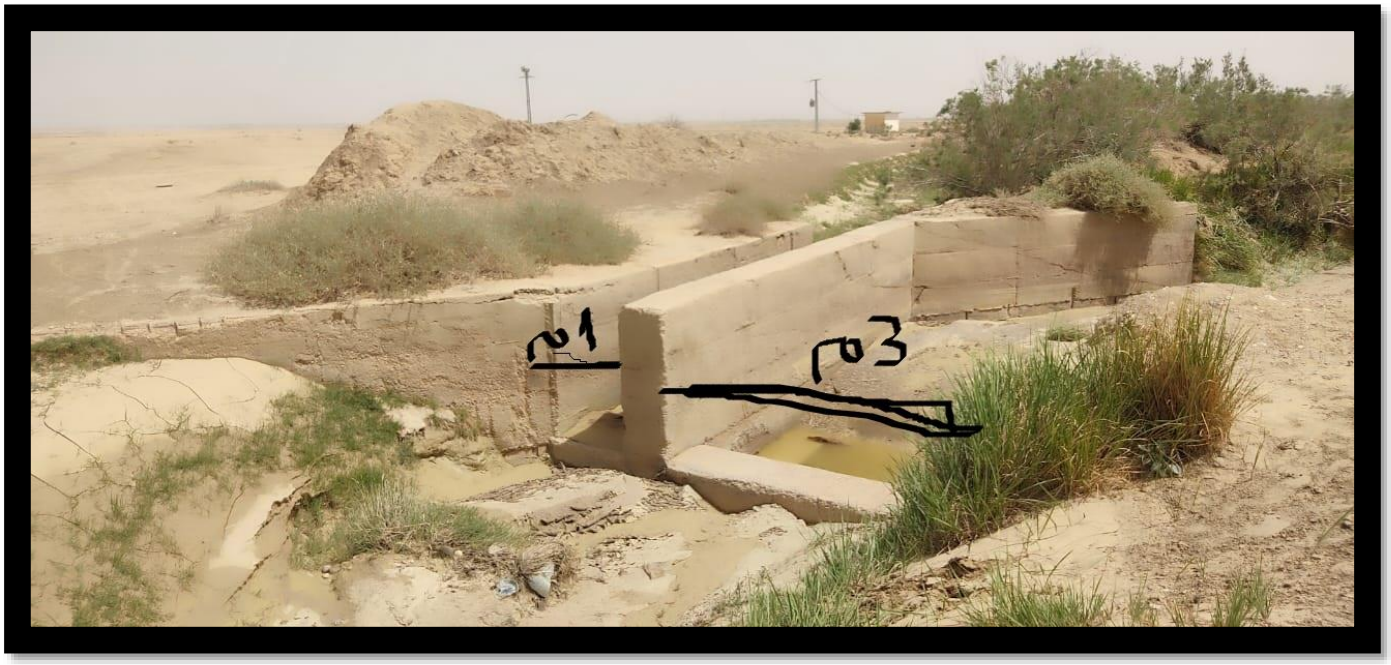

الصورة رقم (10): شكل البناء

الصورة رقم (11): شكل البناء لمقسم النصف والمقسم الرابع

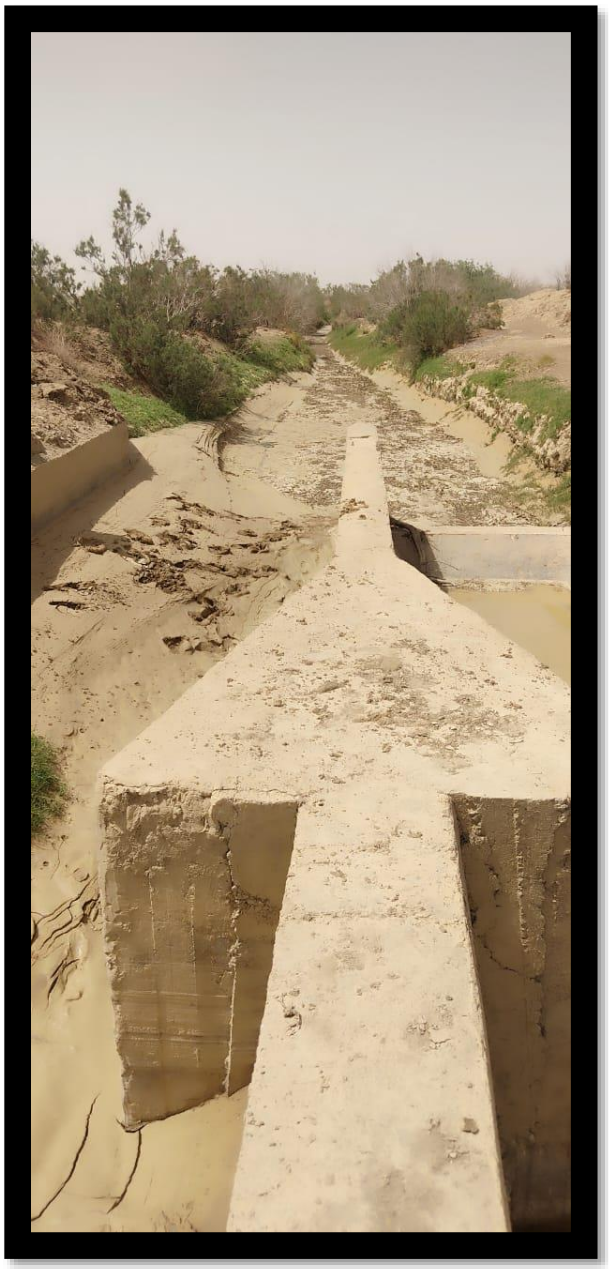

الصورة رقم (12): شكل البناء من منظور علوي

الصورة رقم (13): التقسيم الأول للساقية المقسم الثامن

الصورة رقم (14): الواد ناشف بعد تحويل الماء عنه

الصورة رقم (15): أرض العرش أو الوطن